

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

قسم: الفلسفة

الموضوع:

# جدلية الغيب والإنسان والطبيعة عند محمد أبو قاسم حاج حمد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

بهلولي نادية

إشراف الأستاذ:

- محمد الطاهر الشريف

السنة الجامعية: 2017/2016



## الإهداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه.. ونعوذ به من شرور أنفسنا و  
سيئات أعمالنا.. من يهده الله فهو المهتدي.. ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

أهدي عملي المتواضع هذا....

إلى من كنت له الأمل الذي راوده في حياته فحلم أن يراني في مثل هذا اليوم.. لكن قدره  
سبحانه وتعالى حال بينه وبين ذلك.. إلى روح أبي الطاهرة...

إلى من بها أكبر وعليها اعتمد.. إلى رمز الحب و بلسم الشفاء... إلى القلب الكبير..

إلى ينبوع الصبر.. أُمي الحبيبة.

إلى من دفعني إلى العلم وبه ازداد افتخار.. إلى الذي لا تفيه الكلمات بالشكر والعرفان  
بالجميل ... إلى ملاكي في الحياة.... زوجي الغالي.

إلى من أثروني على أنفسهم... إلى من علموني علم الحياة... إخوتي وأخواتي وكل بناتهم  
وأبنائهم..

وكذلك لا أنسى أغلى صديقاتي ... سهام.

## كلمة شكر و عرفان

أولاً أشكر الله العلي القدير الذي منحني القوة على إنجاز هذا

العمل المتواضع....

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ الفاضل... محمد

الطاهر الشريف الذي أشرف على عملي هذا وقدم لي كل العون خلال

انجازي للمذكرة، ولم يبخل علي بأي جهد أو نصائح أو توجيهات..

ولا يفوتني أن أشكر كل أساتذة قسم الفلسفة ولكل من قدم

لي يد العون ولو بكلمة طيبة أو تشجيع لإتمام هذه المذكرة....

لنيل شهادة الماستر في الفلسفة.

وشكراً



## مقدمة:

لم يعد بوسع أي حضارة أن تعيش بمعزل عن الحضارة الغربية و ذلك كون هذه الأخيرة تعتبر نقطة مركزية تصنع تفاعلات العالم ،نظرا لما هي عليه من تطور لم يسبق له مثيل فأصبح العالم بالنسبة لها عبدا خاضعا لسلطانها منبها لانجازاتها ساعيا للوصول إلى مكانتها .

فالإنسان الأوروبي قد ارتقى بعلومه و معارفه لاكتشاف أسرار الوجود بطريقة علمية تجريبية فلا يخفى علينا أن ما حققه جراء التقدم العلمي و الحضاري الذي عايشه قدم للإنسانية خدمات و منافع كثيرة و لعل هذا ما جعلها \_ الحضارة الغربية الأوروبية - محل أنظار و أداة للتفاضل لدى العديد من الثقافات في حين لا يمكننا أن ننكر أن هذا الإنسان الذي وصل إلى قمة الرقي و التطور يعيش أزمة نفسية خطيرة جراء الأنظمة التي اعتبرها بديلا تخرجه من دوامة الأزمات العلمية و الأخلاقية،أهم هذه الأنظمة الجدل الماركسي و الذي بدوره لم يستطع أن يحقق السلام و السعادة للإنسان الأوروبي إنما شيئه و جعل منه مجرد أداة سلبت له حريته لصالح المادة.

ولعل هذا ما دفع بأبو قاسم حاج حمد إلى الإقرار بوجود بديل حضاري عالمي يخلص الإنسان الأوروبي من الاستلاب الذي يعيش فيه هذا البديل يكون الإنسان فيه حرا لا عبد ، مخيرا لا مجبرا متمثلا في القرآن الكريم باعتباره واسطة بين الواقع و عالم الغيب أي بين الله و الإنسان متبنيا في ذلك الجدل وعليه:

-إذا كان الجدل الذي استخدمه كل من هيغل و ماركس خلص الى استلاب الانسان فهل الجدل القاسمي

بدوره يخلص الى نفس النتيجة؟

هذا الإشكال يدفعنا الى طرح العديد من الأسئلة الفرعية اهمها:

-ما مفهوم الجدل عند كل من ماركس وحاج حمد؟و ما هي النقطة الجوهرية التي أدت الى صنع الفارق بين

الجدليتين ؟



-و ما هو المنهج البديل الذي جاء به حاج حمد؟

-و السؤال المحوري هنا ما طبيعة الجدلية القائمة بين المطلقات الثلاث (الغيب ، الانسان و الطبيعة)؟.

وقد اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي التركيبي ، و هذا لما يقتضيه طبيعة البحث فالمنهج التحليلي ظهر في محاولة تحليلنا للحقائق و المعارف التي صاغها حاج حمد و اعادة تركيبها و فقا لما تقتضيه طبيعة الموضوع وذلك نظرا لتشعب الأفكار و ترابطها في النسق القاسمي .

و قد حاولنا معالجة الإشكالية وفق خطة بحث تتضمن ثلاث فصول تناولنا في الفصل الأول تطور مفهوم الجدل بدوره يتضمن ثلاث مباحث ، المبحث الأول تناولنا فيه الديالكتيك الهيجلي أما المبحث الثاني فتناولنا فيه المادية التاريخية و المبحث الثالث خصصناه للحديث عن مفهوم الجدل عند أبو قاسم حاج حمد أما الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن المنهج الاستمولوجي المعرفي و هو بدوره قسمناه الى ثلاث مباحث المبحث الأول تحدثنا فيه عن المنهج المقارب والمقارن ، أما المبحث الثاني فكان حول منهج الجمع بين القراءتين في حين خصصنا المبحث الثالث لمستويات الجمع بين القراءتين أما الفصل الثالث و الأخير فقد تضمن الجانب التطبيقي لجدل الغيب ، الإنسان و الطبيعة أي كيفية سير هذه الجدلية وفق نماذج من القرآن الكريم.

أما عن أسباب اختياري للموضوع فتمثل في رغبتني الشخصية في معرفة طرح أبو قاسم حاج حمد و مدى واقعيته باعتباره مفكر يدعو إلى عالمية الإسلام ، وكذلك طبيعة الموضوع تثير نوع من الفضول حول نوع هذه العلاقة الجدلية القائمة بين المطلقات الثلاث(الغيب ، الإنسان والطبيعة) و بأي طريقة تتم.

وقد قمنا بهذه الدراسة مستعينين بجملة من المصادر و المراجع ، فأما أهم المصادر التي اعتمدتها ، العالمية الاسلامية الثانية جدلية الغيب ، الانسان والطبيعة الطبعة الثالثة و منهجية القرآن المعرفية فيما يخص المراجع فقد استندت الى رسالة حاج دواق باعتبارها الدراسة الوحيدة التي تمكنت من الحصول عليها وذلك لقلت الدراسات المتعلقة بهذا المفكر.

أما الصعوبات التي اعترضت دراستنا تمثلت في كون أبو قاسم حاج حمد من بين المفكرين الذين يمتازون  
بإتساق في المنهج اذ يعتبر فكره وحدة واحدة و بالتالي لا يمكن الفصل بين الأفكار و هذا ما صعب علينا ضبط  
الخطوة.

## الفصل الثاني: المنهج المعرفي الاستيمولوجي

### مدخل:

إن من أهم شروط البديل الحضاري الذي جاء به حاج حمد هو وجود منهج، ولعل هذا ما دفعنا إلى أن نتطرق إلى هذا المصطلح وذلك نظراً لأهميته البالغة في نسقه، فغياب المنهج بطبيعة الحال يجعل من الفكر مجرد فكر انتقائي ذو معلومات متراكمة مفككة لا ضابط لها.

وبما أن فيلسوفنا اعتبره نقطة انطلاق الشعوب نحو الرقي والتقدم وذلك كونه جعل منه بديلاً حضارياً يتسنى لنا أن نقدم بعض المفاهيم لهذا المصطلح فقد ورد مفهوم المنهج في الموسوعة الفلسفية لابن مذكور على أنه "بوجه عام وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة" ويقال طريق نهج بمعنى بين وواضح وقد جاء قوله تعالى "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" المائدة-48. والمنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح... والسلوك البين والسييل المستقيم" <sup>1</sup>.

وعليه فالمنهج بصفة عامة هو الطريق والأسلوب الذي يسلكه الباحثون بغية الوصول إلى غاياتهم و أهدافهم المرجوة أما من الناحية الاصطلاحية فالمنهج أو المنهجية هي أسلوب وطريقة لتنظيم تجعلنا نتفادى العشوائية في التفكير لتقودنا نحو السير وفق استراتيجية معينة تساعدنا على البحث بطريقة واعية ومنظمة "أي أننا لا نترك أفكارنا تسير حرة و طليقة و إنما نرتبها وفق طريقة محددة وننظمها عن وعي" <sup>2</sup>.

فكلما كانت طريقتنا منظمة و ممنهجة سهل البحث واتضحت معالمه لأن غيابه يؤدي إلى ضياع العديد من الحقائق والطاقت ولتفادي هذا الأمر ينبغي "تنظيم وتوجيه الطاقات في أسلوب منسجم" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جميل صليبا، الموسوعة نفسها ص 435.

<sup>2</sup> فؤاد زكريا: التفكير العلمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص 23.

<sup>3</sup> مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ط 4، 1984 ص 68.

كما سبق لنا الذكر فالمنهج هو الأرضية الأولى التي تشكل عليها نسق حاج حمد لذا فقد أعطى له أهمية بالغة فهو يعرفه على أنه "معرفة النظام الكلي للظواهر الطبيعية والفكرية انطلاقاً من أن لديها ناظم، فالمنهج يرتبط برؤية الكثرة في الوحدة فهو أهم مرحلة منطقية تصلها البشرية من بعد ما بدأت بالكثرة ثم المتقابلات الشائية"<sup>1</sup>.

فالمنهج الذي يقول به حاج حمد هو المنهج الذي يقبل التعميم لا المنهج الذي ينتقل من الشائيات المتقابلة انما من ينطلق من الكثرة الى الوحدة أي من الاصل الى الفرع.

وقد أدى المنهج الى ظهور مفهوم أشمل وأدق وهو المنهجية هذه الأخيرة ما هي إلا "تقنين للفكر، دون هذا التقنين يتحول الفكر الى تأملات وخواطر انتقائية قد تكون عبقرية ومشرقة جدا وذات جدوى في كثير من الأحيان وتصلح للمواعظ والمجادلة الحسنة ولكنها لا تكون منهجية"<sup>2</sup>. ومن المعروف أن كل حديث في صياغ المنهجية يؤدي بالضرورة الى ايجاد طرق للبحث في الأمور لتنتهي هذه الطرق الى ايجاد ضوابط لها.

غير ان استخدام حاج حمد لهذا المصطلح له دلالة اصطلاحية هذه الدلالة ترتبط بالوحدة العضوية للوجود الكوني وحركته ويقصد هنا اننا نقرأ الكون وفق منهجية واحدة أي اننا نركز الى منهجية ونعتبرها سنداً هاماً لحل جميع القضايا التي تتعلق بالبناء الكوني.

جاء حاج حمد بمنهجية جديدة اعتبرها منهجية صالحة لكل زمان ومكان ألا وهي منهجية (الجمع بين القراءتين) هذا الجمع يتم وفق مجموعة من المراتب أولهما هو فهم العلاقة الشائية الجدلية القائمة بين الأزلي على حد تعبير حاج حمد وهو الله وبين الإنسان أي بين الخالق والمخلوق، وهذا كله لا يخرج عن اطار التأليف بين القراءتين هذا التأليف يقودنا الى عالم المشيئة، أما إذا ما وحدنا بينهما -القراءتين- فنحن باتجاه عالم الارادة، في حين أن عملية الدمج تخص عالم الأمر -هذا ما سنفصل فيه في المبحث الثالث-

<sup>1</sup> محمد أبو قاسم حاج حمد: استيمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي للطباعة والنشر، ط 1، 2004 ص 43.

<sup>2</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 43.

وبما ان المنهج الجديد الذي قال به حاج حمد يقول بالجمع بين القراءتين فهذا يقودنا بصفة مباشرة الى القرآن الكريم باعتباره المصدر الاساسي لهذه المنهجية وذلك من خلال قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق" العلق 1 وهنا تبرز القراءة الاولى وهي القراءة باسم الله، أما القراءة الثانية فهي مستمدة من قوله تعالى "الذي علم بالقلم" العلق 4، هذه القراءة تسمى القراءة بالقلم وعليه فالقرآن الكريم ونظرا لبنائته العضوية يعد المرجعية الأساسية تلم شمل الوحدة المعرفية للبشرية أي أن القرآن هو الوعي المعادل للوجود وحركته هذا ما يجعله يطابق في بنائته العضوية والمنهجية شمولية البنائية الكونية.

كما يرى حاج حمد أن المناهج في عالمنا المعاصر متعددة ومتنوعة أي أن كل علم يتفرد بمنهج خاص به حيث يقول "فكل فكر في حاضرنا العالمي المعاصر منهجه الضابط والمنظم فإذا كان هذا المنهج ماديا في تصويره للكون ينتج أفكار لا تكون إلا مادية... وإذا كان هذا المنهج لاهوتيا- ولا أقول دينيا- يتصور الوجود وحركته في اطار الجبرية الغيبية المطلقة"<sup>1</sup>. والمقصود هنا أن كل منهج سينطلق وفق مسلماته مادية كانت أو لاهوتية وهذا ما أعابه حاج حمد على المناهج المعاصرة حيث يعتبرها مناهج قاصرة وذلك لأنها تعجز عن التطابق على كل الاتجاهات العلمية والطبيعية والإنسانية بل هي مناهج تنطبق على اتجاه دون الآخر "هذه هي أزمة الفكر الانتقائي في كل أشكاله بما يشمل أولئك الوضعيين الذين قبلوا الأخذ بفلسفة العلوم الطبيعية ثم رفضوا نتائجها المادية في التاريخ والمجتمع و الأخلاق"<sup>2</sup>. فالوضعيون هنا أخذوا بمنهج فلسفة العلوم الطبيعية الذي يعتبر منهج مادي بحت هذا ما أدى بهم الى رفض تعميم نتائجها على التاريخ والمجتمع والأخلاق، فالأخلاق مثلا هي معيارية وعباراتها بنظر الوضعيين عبارات انشائية فارغة من المعنى وبالتالي لا يمكن لنا الحكم عليها بالصدق ولا بالكذب وذلك يرجع الى القضايا التركيبية البعدية والتي تكتسب بالتجربة معيار الصدق فيها هو اتساقها مع الواقع الخارجي أي انه يجب

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 34.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 34.

على كل قضية التثبت منها بالتجربة ومن عجزنا على التحقق منها من خلال التجربة فهذه القضية لا تعتبر قضية علمية لأنها خالية من المعنى.

وبالتالي فالمنهج أخذت به الوضعية هو منهج قاصر على فهم الأبعاد الكونية بل وهناك فجوات مست المناهج المعاصرة وهي أنها مناهج انتقائية وتوفيقية فمثلاً "القانون في الظواهر الطبيعية، فلا يمكن ان نقول ان الحرارة تمدد الأجسام ثم نقول بذات الوقت ان الاجسام تتمدد بذاتها"<sup>1</sup>. أي ان هذه المناهج لا يمكنها ضبط النتائج ضبط دقيق انما تسعى الى التوفيق والتوسط غير ان المنهجية التي يقول بها حاج حمد هي منهجية "لا تقبل التوفيق ولا التوسط فهي قانون محدد لإنتاج الأفكار وحين نقول بالأسلمة المنهجية للمعرفة فإننا لا نغفل هذا القانون الصارم"<sup>2</sup>. وبقولنا هنا بالأسلمة المعرفية فإننا نحاول وضع فاصل بين الانجازات العلمية البشرية والإحالات الفلسفية الوضعية وإعادة بلورة هذه العلوم وفق ناظم منهجي ديني أي اننا نحاول ان نلبس العلوم التطبيقية والقواعد العلمية ثوب ديني ويتم ذلك من خلال ابعادها عن البعد الوضعي ويتم صياغتها ضمن بعد كوني يتضمن هذا البعد الغائية الالهية في الوجود.

## المبحث الأول: المنهج المقارب والمقارن

إن من أهم المشاكل التي أصبحت تواجه الانسان العربي المعاصر هي وإن صح لنا القول الحضارة الغربية هذه الأخيرة أصبحت الحضارة الأم والدولاب المحرك لكل الثقافات بل وقد اجتاحت أوساط المجتمعات إما بالعنف أو الإكراه أو حتى عن طريق الحروب ، فراحت تفرض هيمنتها على العالم الذي أصبح يرى فيها مركز اشباع جدير

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 34.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 34.

بالاحتذاء، فتوجهت صوبها الانظار باعتبارها صاحبة العلم والحضارة النموذج، فاستغل العالم الغربي الأوروبي هذه الظروف لمد سلطانه وتحقيق هيمنته مستعمرا البلدان طامسا لهويتها موهما اياها بإخراجها مما هي فيه بشعار عالمية الثقافة التي اتخذت فيه الحداثة عنوانا بارزا لها والتي بدورها-الحداثة- لم يتم التعرف عليها عن طريق الحوار والتبادل الثقافي او بالأحرى بطريقة إقناعية حضارية انما اقتحمت الأوساط العربية عن طريق ما يعرف بالغزو الاستعماري ولعل اول الحملات الاستعمارية على العالم العربي هي "حملة نابليون" والتي استخدم فيها الغرب أحدث وسائلهم التكنولوجية فكانت انذاك الحداثة الفكرية أداة في ذلك هذا ما جعل العرب ينبهرون للتطور الغربي مدركين تخلفه ، على اثر هذه القفزة الفكرية الغربية حاول العرب النهوض وراحوا يبحثون عن طرق تساعد على الوصول الى ما هي عليه الحضارة الغربية فابتكروا مناهجا ووسائلا لمواكبتها فإذا ما قلنا توصلهم فنحن هنا نقر وبطريقة غير مباشرة بالمنهج المقارب والمقارن هذا المنهج واجه العديد من الانتقادات من قبل العديد من التيارات والمذاهب وعلى رأسهم التيار الأصولي الذي غلق الأبواب رافضا ذلك الانفتاح وقد كان مبرره في ذلك المقولة التي تبناها الحداثيون وهي الانفتاح الذي رأوا فيه اقتلاعا للجذور التي يعتبرونها رمزا للتراث العربي.

كذلك هو الحال بالنسبة للحاج حمد الذي اعتبر أن الثقافة العربية الاسلامية لم توفق في اختيار المنهج-المقارب والمقارن-لأنه يعتبرها طريق نحو التلفيق وتغييب الحقائق فالمقاربة عادة ما تنطلق من قرار ضمني وفي هذه الحالة الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة المعبرة عن الحقيقة هذا ان لم نقل أنها لب الحقائق وبالتالي ستكون بمثابة الميزان الذي تقاس به الذوات لتعرف من خلالها قيمتها ومكانتها بين الثقافات هذه المساومة بطبيعة الحال ستفقد للذات خصوصيتها ساعية نحو الوصول الى ما هو عليه الاخر، هذا ما دفع بالحضارة العربية الاسلامية الى العجز والقصور كما قال كانط عندما سئل عن مفهومه للتنوير؟ كانت اجابته "خروج المرء من القصور الذي هو مسؤول عنه"<sup>1</sup>، وهنا كانط يقصد بقوله هذا أنه كلما كانت التبعية للغير تولد هناك قصور وجهل لذات. فالتبعية

<sup>1</sup> محمد الشيخ، ياسر الطائري: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ط 1، دار الطليعة لطباعة والنشر، لبنان 1996، ص 142.

والانصهار في الغير ما هو إلا قتل للأنا، هذا هو الحال بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية التي حاولت أن تقارب مبادئها وأسسها إلى ما هي عليه الحضارة الغربية الأوروبية بالرغم من الاختلافات الحضارية بين العالمين فنجد أن أوروبا قد فرضت علينا "أن نزرع ما نريده وأن نكيف مصير حاصلاتنا الطبيعية والزراعية على ضوء أغراضها الصناعية... فالعام كله يجب أن يتحول إلى صورة أخرى للمركز المهيمن"<sup>1</sup>.

ما نلاحظه من خلال قول حاج حمد أن الدول الأوروبية قد فرضت علينا أي على المجتمعات العربية الإسلامية سيطرتها ومد نفوذها في شتى المجالات سواء كانت أغراضا طبيعية أو زراعية وإذا ما تعمقنا أكثر لوجدنا أن الأمر تعدى إلى النظم التربوية إذ أن الجامعات والمدارس العربية أصبحت تسير وفق مناهج غربية بحتة وهذا لا يدل إلا على شيء واحد وهو الخضوع التام لهذه الدول لكن هذا "الميل المتعاضم من قبل الهامش باتجاه المركز في عصر الثورة التكنولوجية ونمطها الإتباعي سيفرض نتائج خطيرة على مستوى الفكر والمناهج والسلوكيات"<sup>2</sup>.

إن أبسط ما يقع فيه أصحاب المنهج المقارب هو جعل الدول العربية تعتمد إلى المقاربة الدائمة و بالتالي تعيش وفق محاكاة أبدية هذه المحاكاة تدفع بها إلى العزوف عن الذات ، حيث أنهم يعمدون على سحب شكل الوعي الغربي إلى إطار تاريخي مختلف عن إطاره و كأنهم يحاولون إسقاط النظم الغربية على النظم العربية بالرغم من وجود اختلافات قد تكون طبيعية أو اجتماعية أو حتى دينية ، في ظل هذه الاختلافات تضيع القدرة التحليلية و التفسيرية علاوة على ذلك فالمقاربة و على حد تعبير حاج حمد تغفل أهم جانب أو عنصر و هو الانطلاق من الذات هذه الأخير – الذات – بإمكانها أن تستوعب أدواتها مما يدفعها إلى الإقرار بقدراتها و بالتالي نستطيع الافلات من دائرة الخضوع و الانهماك و الانطواء تحت لواء الآخر (الغرب) .

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 43.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 44 .

كما أن حاج حمد يعتبر أن أهم الأخطاء التي وقعنا فيها هي "حين ترجمنا نهايات أوروبا الفكرية و الفلسفية و لكننا فصلنا تلك النهايات على السياق الجدلي الأوروبي الذي بقي يحاورها و يصارعها ... كما أننا لم نستطع أن نركب النهايات الأوروبية (الترجمة) على سياقنا الجدلي الذاتي"<sup>1</sup>.

ففي نظر حاج حمد المقاربة أدت بنا إلى نوع من المفارقة ألا و هي كيف لنا -أن نأخذ جهد الحضارة الغربية الأوروبية و التي ظلت لمدة أربع قرون تحاور و تصارع، ترفض و تقبل بنتائجها وفق جدلية أوروبية -أن نأخذ بها محاولين إعادة تركيبها في أرض ليست بأرضها و كأننا نحاول أن نزرع نبتة في أرض قاحلة لا تمد للحياة بصلة و قولنا هذا يعني أننا و من خلال المنهج المقارب نلبس ما أنتجته الحضارة الغربية لمدة قرون ثوب ليس بمقاسها .

كما أن للمقاربة مصطلح لا يكاد يخرج عن مفهومها و هو المقارنة و هي "التي يعالجها فكر (المقاربات ) و لكن من منظور مختلف إذ تتجه المقاربة إلى التجديد و التفاعل مع المنظومة الغربية بدرجات متفاوتة و بمنطق الحداثة فإن المقارنة تتجه إلى (المفاضلة ) بين الطروحات الاسلامية بمنطق الاصاله و الطروحات الغربية"<sup>2</sup>.

فأسلوب المفاضلة في جوهره هو ادراك الأنا عن طريق الآخر بحيث يعتمد هذا الأسلوب إلى قراءة الآخر قراءة دقيقة من حيث التفكير ، الأسلوب بالاعتماد على منهجه ليقر في الأخير أنه أفضل منه و بالتالي يكون هنا كما في المقاربة الغرب هو مركز التفاضل .

كما سبق لنا القول أن ابو قاسم حاج حمد أقر بفشل هذا المنهج -المقارب و المقارن- وذلك لأنه يرى "أن فكر المقاربات الذي يرى أراد أن يردم الهوة بين المسلمين و الحضارة الغربية و كذلك فشل المقارنات الذي أراد توسيع

<sup>1</sup> ابستمولوجية المعرفة الكونية، المصدر نفسه ص 17 .

<sup>2</sup> الحاج دواق ، المرجع نفسه ص 102 .

الهوة و مع تزايد تأثير الغرب في الواقع الاسلامي كل ذلك أوجد حالة من القلق الفكري لدى بعض القيادات الاسلامية مما دفعها للقفز فوق منطق المقاربات و المقارنات لتتبني أسلمة هذا الزاحف الغربي"<sup>1</sup>.

حيث يرى حاج حمد أن السبب وراء فشل فكر المقاربات في بداية عصر النهضة و من خلال محاولة أسلمة المعرفة يعود إلى أنه تمت ممارسته تحت ضغط الحضارة الاوروبية فتمت بذلك مقارنة الاشتراكية بالعدالة الاجتماعية والشورى بالدستورية النيابية ومفهوم التقدم بالتمدن و فشل كذلك جراء محاولة عقد مقارنة بين المرأة في الاسلام و المرأة في الغرب ، و كأن همهم الوحيد ردم الهوة بين المسلمين و الحضارة الغربية مع السيطرة الفعلية للغرب على الواقع الاسلامي زاد القلق الفكري لدى بعض المفكرين الاسلاميين هذا ما دفعهم في محاولة للقفز فوق مظلة المقاربة و المقارنة محاولين في ذلك أسلمة الانسان الغربي ليصبح محتوى بعد أن كان محتوى<sup>2</sup>.

و عليه و في ظل هذه الانتقادات التي قدمها حاج حمد لهذا المنهج و كما هو معروف أنه لكل ناقد بديل فما هو البديل الذي أسس عليه حاج حمد موقفه الرفض لفكر المقاربات و المقارنات ؟

## المبحث الثاني: منهج الجمع بين القراءتين

كما سبق و أن تطرقنا في المبحث السابق إلى أن منهج المقاربات و المقارنات قد لقي العديد من الانتقادات من قبل بعض المفكرين المعاصرين و على رأسهم أبو قاسم حاج حمد و ذلك نظرا لما يحمله هذا المنهج من خطورة على الهوية العربية الاسلامية هذه الأخيرة والتي تمتلك بديلا يجعل منها صاحبة الريادة والقوة الحضارية

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 22 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 32.

العظمة ، وذلك لأن الدول الأوروبية قد افتقرت لمنهج يخرجها من دوامة الاستلاب الذي وقعت فيه اثر الاستيمولوجية التي سعت إلى التفكيك و التركيب لكنها لم تصل إلى نقطة التركيب بل وقد عجزت عنه .

فالمنهج الاستيمولوجي الغربي في نظر حاج حمد "بقدر ما هو مفيد على مستوى التفكيك هو الخطر بعينه اذ لم يتجه نحو التركيب و لا يتم التركيب إلا عن طريق وعي كوني مطلق يصدر عن الاله الأزلي"<sup>1</sup>.

هذا الوعي الكوني الذي اعتبره حاج حمد مخرجا للاستلاب الاستيمولوجي الغربي هو القرآن الكريم حيث اعتبر حاج حمد أن القرآن أعده الله سبحانه و تعالى "ليواجه هذه الازمة في دخول البشرية طورها العقلي الثالث\* من بعد انحصار العقليتين الايحائية و الثنائية المتقابلة"<sup>2</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هو السبيل لجعل القرآن الكريم بمثابة السلاح الذي تواجه به الدول الأوروبية أزمته الاستيمولوجية بالرغم من انها لا تعترف بصحته أساسا ؟

يجيبنا حاج حمد عن هذا السؤال بمصطلح جوهرى في فلسفته وفي نسقه بصفة عامة و هو أسلمة المعرفة فما المقصود بأسلمة المعرفة ؟

"أسلمة المعرفة تعني فك الارتباط بين الانحاز العلمي الحضاري البشري و الاحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي ديني غير وضعي فهنا استيعاب و تجاوز يؤدي لمفهوم مختلف"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> استيمولوجية المعرفة الكونية ،المصدر نفسه ص 205 .

<sup>2</sup> منهجية القرآن المعرفية ،المصدر نفسه ص 45 .

\*طور المنهجية و المعرفية و بأفق عالمي .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 31 .

هذا التعريف الذي قدمه حاج حمد قد غير مفهوم الأسلمة من كونها مجرد عملية تركيب بين النظريات العلمية والآيات والأحاديث المأثورة إلى عملية حضارية تستنبط الآليات التوحيدية من المرجعية المعرفية لیتم بعد ذلك الفصل بين الانجازات العلمية و الاحالات الفلسفية المستمدة منها لیتم وضعها في إطار تفسيري مستوعبا بذلك التجربة الانسانية "فالأسلمة ليست مجرد (إضافة) عبارات دينية إلى مباحث علم النفس و الاجتماعية... إنما إعادة صياغة منهجية و معرفية للعلوم وقوانينها"<sup>1</sup>.

أي أن فحوى الأسلمة لا يكمن في إضافة آيات قرآنية لتلائم موضوع العلم المراد اسلمته إنما هي أننا نعيد صياغة هذه العلوم وفق ناظم منهجي و معرفي وغير هذا يؤدي إلى تشويه مفهوم الاسلامة .

و إذا ما حاولنا أن نفصل بين مصطلحين -وذلك ليتسنى لنا الوصول الى لب الموضوع المراد دراسته- أسلمة المعرفة فكلمة أسلمة بطبيعة الحال مأخوذة من الاسلام و الاسلام كما هو معروف هو تخصص ديني له مرجعية معرفية الا وهي القرآن هذا الاخير اعتبره حاج حمد بمثابة المخرج الوحيد الذي يخلص الامم من التسلط والاستلاب والتبعية وذلك لما يحتويه من منهجية او تصور منهجي كفيل لضبط سير العالم بطريقة محكمة و ممنهجة بعيدا على الاستلابات ووحده القادر على بناء حضارة عالمية جديدة" فالقرآن العظيم المتضمن للمنهجية الكونية البديلة والقابل للاستكشاف المعرفي والذي بمقدوره وحده اعادة صياغة فلسفة الحضارة العالمية الجديدة يحمله من لا يعاني أزمة المأزق الحضاري العالمي"<sup>2</sup>.

ووقوفاً عند الاجابة للسؤال الذي طرحناه من قبل وهو كيف للدول الاوروبية أن تعتبر القرآن مخرجا لها، سنقف عند نص للحاج حمد يقول فيه "ثمّة حتمية مستقبلية آخذة في الظهور ستفرض على العالم الشمالي الصناعي المتقدم وعلى العالم الوسط الاسلامي بشكل خاص وعلى العالم أجمع بشكل عام ضرورة اكتشاف البديل

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 21-22 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 40.

المنهجي المعرفي بالنسبة للمسلمين سيقصر الأمر على البحث عن هذه المنهجية المعرفية في القرآن أما بالنسبة للعالم فسيتمسك الطريقة اليها عبر مناحي فلسفية شتى في محاولته الوصول الى المضمون الحضاري البديل . غير ان هذه الضرورة الحتمية ترتبط بواقع تاريخي آخذ في التبلور ويكمن فيما يمكن ان نسميه بقانون (الاستحواذ العضوي الحضاري)<sup>1</sup>.

ومنه وما نريد ان نصل اليه هو ان القرآن الكريم في مجمله يحتوي على المنهجية المعرفية الصحيحة التي تمكن العالم من الخروج من كل المآزق الحضارية الراهنة ، لذا فالحاج حمد ومن خلال منهجه المستوحى من القرآن الكريم وبالضبط من صورة العلق التي يرى فيها لب المنهج وهو ( منهج الجمع بين القراءتين) حيث أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عند بدأ الوحي بقراءتين قراءة أولى وهي قراءة باسم الله قال تعالى " أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ " العلق، وقراءة ثانية وهي قراءة بالقلم " أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ " العلق.

"فالقراءة الأولى كونية تستمد من الوحي الغيبي عبر القرآن"<sup>2</sup>، وهذه القراءة ليست بقراءة استنتاجية انما هي قراءة معطاة يتم فيها النزول من الاصل الى الفرع أي من الكل الى الجزء بعبارة أدق من الازلي وهو الله إلى المطلق (الانسان ، القرآن، الطبيعة ) .

حيث أرجع حاج حمد هذه القراءة إلى "منهجية الخلق المطلق التي تولد من خصائص طبيعية مختلفة العناصر ناتجا طبيعيا متماثلا كما في سورة (فاطر/12) حيث ينتج البهران العذب و الفرات كلاهما ، ناتجا واحدا هو اللحم

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه، ص 42-43.

<sup>2</sup> محمد ابو قاسم حاج حمد: اسلامية المعرفة، المفاهيم و القضايا الكونية ، مجلة تفكر ، المجلد 3 ، العدد 3 ، 2004، ص 7.

الطري<sup>1</sup> "ن أي أن اختلاف مصدرين في الصفات لا يعني بالضرورة اختلاف الناتج وقد ضرب لنا حا حمد مثلا عن ذلك من سورة فاطر في قوله "وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج و من كل تأكلون لحما طريا ... "الآية (12) ، فالمتعمن في الآية يجد أنه بالرغم من اختلاف البحران (الفرات و المالح)، إلا أن ناتجهما واحد (اللحم الطري) .

كما أرجعها أيضا إلى "منهجية الخلق المطلقة التي تعكس هذا القانون حين تولد من خاصيتين محددين و متحدتين ناتجا مختلفا كما في سورة الرعد (4) ، فعنصر الماء المتفاعل مع التراب ينتجان معا ما هو متنوع و متعدد من ثمرات النخيل و الاعناب و غيرها"<sup>2</sup>.

أي أننا حينما نقوم بتحديد عنصرين واعتبارهما مصدرا لناتج معين نجد أن تفاعلتهما لا يعني بالضرورة تماثلا في الناتج، وهنا أيضا استند حاج حمد إلى سورة الرعد في قوله تعالى "وفي الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفصل بعضها على بعض في الاكل"الرعد (4). نجد هنا أن التفاعل الناتج بين التراب و الماء لا يعني بالضرورة الحصول على منتج واحد بالرغم من ان الماء الذي يسقى به التراب لا يتغير .

أما بالنسبة للقراءة الثانية "ألا وهي قراءة الكون و النظر في الخلق و معرفة ما دونته البشرية من فهم له و تجارب فيه بأقلامها"<sup>3</sup>، أي يجب علينا قراءة الكون والتدبر في الخلق والتطلع على ما كتبه وسجلته البشرية بقلمها من فهم له و هنا اشارة إلى القراءة بالقلم "والقلم اشارة إلى قوانين العلوم الوظيفية التي يتناولها العقل بموضوعية حيث يكتشف قوانين الصيرورة ..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه، ص 177-178 .

<sup>2</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه، ص 178 .

<sup>3</sup> طه جابر العلواني :الجمع بين القراءتين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 2006 ص 19 .

<sup>4</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 178 .

ومن هذا المنطلق فالقراءة بالقلم هي قراءة موضوعية استنتاجية بمثابة الانتقال من الجزء إلى الكل و كلا القراءتين لا يمكن معرفة تطلعهما إلا وفق قدرات البشرية النسبية على فهم الظاهر .

على هذا الأساس اعتبر حاج حمد أن اسلامية المعرفة أمر ضروري للتخلص من الاستلابات التي سيطرت على الإنسان المعاصر و بطبيعة الحال فأسلمة المعرفة تكون من خلال الجمع بين القراءتين حيث أن :

القراءة بالوحي + قراءة الكون = الخروج من المأزق المعرفي المعاصر

فبالجمع بينهما تتحرر القراءة الطبيعية من النزعة المادية في الاتجاه الفلسفي ،وبذات الوقت تتحرر القراءة الغيبية من النزعة القدرية\* التي لا تميز بين العوامل الثلاث \*\* 1.

أي أن الجمع بين القراءتين يؤدي الى تخليص المجتمع الغربي من النزعة المادية (الاستلاب المادي) وتخليص المجتمعات الاسلامية من النزعة القدرية بالإضافة الى كون الجمع بين القراءتين يؤدي الى تحرير الانسان من الاستلابات التي سيطرت عنه فإنها كذلك -الجمع بين القراءتين "تدرك الفروق بين الأمم التي استفادت بالوحي واتبعته واستنارت به وبين الأمم التي تجاهلته وتعاملت مع الطبيعة أو الكون-وحده-دون استنارة بهداية الوحي<sup>2</sup>. فالغاية الثانية التي أشار إليها طه جابر العلواني من خلال الجمع بين القراءتين هو استيعاب الفروقات بين الأمم، فالأمم التي اتخذت من الوحي نورا لها ليست مثل الأمم التي تجاهلته وذلك لتجعل من الطبيعة مرتكزا لها.

وإذا ما أعدنا التأمل في الآية الكريمة "اقرأ بسم ربك الذي خلق 1 خلق الانسان من علق 2 " نجد أنه خطاب الهي قدم فيه الله سبحانه وتعالى النتيجة واعتبرها طريقا للوصول الى الأسباب وليس كما هو معتاد البحث عن النتائج

<sup>1</sup> الازمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن ، المصدر نفسه ص 315.

\* وهي نزعة تؤمن بهيمنة الله بأفعاله المباركة على مستويات العرش، (أنظر :الأزمة الفكرية و الحضارية في الواقع العربي الراهن ص 315).

\*\*عالم الأمر، الإرادة، والمشقة.

<sup>2</sup> طه جابر العلواني، المرجع نفسه ص 13.

انطلاقاً من الاسباب "غير أن الله يشدنا الى النتيجة (الانسان) ثم الى البداية وهي (العلق) ثم يتوسط العملية كلها "اقرأ بسم ربك الذي الخلق"<sup>1</sup>.

فالنتيجة هي الإنسان الذي كانت بدايته العلق ليطلب الله ان تتم القراءة باسمه وعليه تكون هناك قراءتان قراءة بالقلم من خلال البحث عن الأسباب وقراءة باسم الله لان الله هو صاحب الخلق أو بعبارة أدق مصدر الخلق ولا تصح الدراسة دون اللجوء الى مصدرها الفعلي (الله) "بوصفه خالقاً ومصدراً للكتاب والحكمة"<sup>2</sup>.

وهنا سنقف عند ما قدمناه في الفصل الأول وهو الجدل الماركسي والمتسم بالصيرورة وقلنا ان حاج حمد قد وجه انتقاده له وكان البديل الذي جاء به هو صيرورة غائية فالجدل الماركسي كان جدل يفتقر الى وجود غاية ساعيا الى التركيب بينما الجدل الاسلامي فهو جدل يطمح الى غايات "فالخطاب الالهي لا يتجه الى التركيب ولكن الى الغاية والهدف، وهذا ما حاولت ابطاله الفلسفة المادية لأنها نفت البعد الغيبي في البناء الكوني"<sup>3</sup>

وعليه وما يمكن قوله ان القراءتين عبارة عن كتابين -على حد تعبير طه جابر العلواني- يجب على الأمم "قراءتهما -معا- للخروج من أسار الامية بكل أشكالها ومعانيها كتاب منزل متلو معجز وهو القرآن وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتجارب البشرية فيه."<sup>4</sup>

## المبحث الثالث: مستويات الجمع بين القراءتين

اذا اقتصر بحثنا في الفصل الثاني على الجمع فقط فهذا لا يعني أنه لا يوجد أبعاد أو بعبارة أدق مستويات

للجمع وهي كما ذكر حاج حمد ثلاث مستويات:

<sup>1</sup> الأزمة الفكرية والحضارية، المصدر نفسه ص 315.

<sup>2</sup> استيمولوجية المعرفة الكونية، المصدر نفسه ص 383

<sup>3</sup> الأزمة الفكرية والحضارية، المصدر نفسه ص 315.

<sup>4</sup> طه جابر العلواني، المرجع نفسه ص 14.

1-التأليف بين القراءتين بطريقة توفيقية ثنائية

2-التوحيد بين القراءتين بطريقة منهجية عضوية

3-الدمج بين القراءتين برؤية احادية.

"وهذه كلها مستويات متعددة ومتراكبة لفهم علاقة الغيب بالواقع فالتأليف بين القراءتين صعود من الواقع الى الغيب والدمج بين القراءتين تنزل من الغيب الى الواقع والتوحيد بين القراءتين توسط بين الغيب والواقع"<sup>1</sup>.

هذه المستويات تدفعنا الى فهم العلاقة الموجودة بين كل من الواقع والغيب والسؤال الذي يطرح نفسه هنا مادور كل مستوى من المستويات في فهم اعلاقة بين الغيب والواقع؟

### أ-المستوى الأول:التأليف بين القراءتين

"فالتأليف بين القراءتين هو تأليف بين مظاهر (الخلق) وظواهر الحركة التي(يجعلها)الله في هذه المظاهر لتعطي للوجود معنى انساني على قاعدة مفهوم (التسخير)بحيث يصبح الكون كله (بيتا)للإنسان وكل ما فيه للإنسان حيث ينتمي الكون للإنسان ويشعر الانسان بالانتماء للكون ووفق منهجية الحق في الخلق"<sup>2</sup>.

في هذا المستوى أي مستوى التأليف بين القراءتين يقوم الإنسان بالبحث في الظواهر المحيطة به لمعرفة الأسباب التي تسيطر و تتحكم فيها ، هذه الأسباب وبطبيعة الحال سخرت وفق شروط تتناسب و مصالح الانسان مما يؤدي الى الاستفادة منها وذلك كونها مهيئة له وهنا يصبح الكون في خدمة الانسان ويصبح الكون بمثابة البيت

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ص 178.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 179 .

الذي يلجأ اليه لأن كل ما يوجد فيه هو ملك له وهو انتماءه ووجوده هذا الاحساس بالانتماء خلفته (منهجية الحق في الخلق) وهنا يعيش الانسان مع الكون وفق قيم جمالية وفنية فلا علو ولا استعلاء.<sup>1</sup>

هذا المستوى-التأليف-يقودنا الى عالم المشيئة هذا الأخير "يهيمن الله فيه بأفعاله المباركة مستويات العرش"<sup>2</sup>، أي أن الله القدرة التامة على أن يهيمن بأفعاله على العرش (الوجود، الكون) "كما أن في المشيئة -حيث نحن اليوم -وهو عالم استثنائي لأنه ليس أصل الوجود، تأتي متاحات القراءة (الطبيعية) بالقلم و كثير ما يرى فيه الناس مفهوم الألوهية ويتمثلونه على صفاتهم و هو تصور يضع الله -سبحانه- في ثنائية كونية مقابلة للوجود الكوني"<sup>3</sup>.

من خلال هذا القول يتضح لنا أن عالم المشيئة لا يعتبر أصلاً للوجود إنما هو عالم استثنائي تتجسد فيه القراءة الموضوعية (أي القراءة بالقلم)، هذه القراءة تتيح للناس تصور الله في صفاتهم مما يجعله -سبحانه وتعالى- في كفة ميزان تساوي و تعادل الوجود الكوني وهذا التصور هو تصور قاصر لأنه يقوم أساساً على الثنائية (التصور الإلهي+الوجود الكوني) هذه الثنائية تقوم على الجدل.

كما اعتبر حاج حمد أن قصة إبراهيم عليه السلام قد جسدت لنا القراءة التأليفية المترتبة على عرش عالم المشيئة حيث يتم في هذا العالم -عالم المشيئة- "تحرير العقل الاستقرائي العلمي (من داخل العلوم الطبيعية) نفسها حين ترشدنا القراءة الأولى بمنهجها الكوني على أن قانون الظواهر الطبيعية... لا يخضع بالمطلق للقوانين التطبيقية الحتمية التجريبية فقط و لا لقوانين النسبية و الاحتمالية فقط إنما التفاعلات كونية و ليست أرضية هي التي أوجدت حالات التنوع و التعدد اللامتناهي في كون لامتناه في الصغر و لامتناه في الكبر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الحاج دواق، المرجع نفسه ص 118.

<sup>2</sup> الازمة الفكرية و الحضارية في عالمنا العربي الراهن، المصدر نفسه ص 315.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 316.

<sup>4</sup> استيمولوجية المعرفة الكونية، المصدر نفسه ص 384.

وعليه فالفائدة من التأليف هو الربط والجمع بين القراءتين بطريقة موضوعية تطمح إلى الوقوف على الظواهر كما هي ظاهرة و بارزة في الكون لكن بشرط احوالها إلى وضعيات وجودية متعالية و آية ذلك ظهورها في سياق جبري حتمي تارة وتارة أخرى نسي مما يدفع بالعقل الوضعي الطبيعي إلى الدهشة والعجز وذلك اذا أخذ بالقراءة بمعزل عن التأليف اما اذا استند إلى الجمع تأليفا فإن حقيقة الفعل الالهي سوف تظهر وتتجلى "... فالجمع بين مطلق الجدل الانساني و مطلق الجدل الطبيعي يؤدي بأولى الأبواب إلى الجمع بين القراءتين في عالم المشيئة المباركة فيستهدي الانسان العقلاني بعقله السبب إلى الإيمان فتلك عبودية العقل... فالجمع بين القراءتين بالعقل في عالم المشيئة هو تأليف بين القراءتين بالله و القلم"<sup>1</sup>.

إن الطريق المؤدي إلى عالم المشيئة هو العقل فهو وحده القادر على ابراز جوهر ومكونات الخلق مما يؤدي به - العقل- إلى أن يجعل من كل ما يحتويه الكون من طاقات وموارد صالحة وذلك كله في حدود ما يتيح القلم له ، هذا ما يجعل المشيئة كريمة معطاءة ، كل هذا لا يخرج عن إطار التأليف ، فعن طريق التأليف بين القراءتين يستطيع الانسان أن يسيطر على الكون وأن يجعله في خدمته دائما ، وبطبيعة الحال يجب على الانسان أن يبلغ درجة القناعة بأن الوجود يتجاوز طاقات و اساليب بحثه وأن ما توصل إليه عن طريق قراءته ما هو إلا جزء صغير من عطاء هذا الوجود الواسع .

"... ذلك هو التأليف بين القراءتين وهو مبتدأ نبوة العقل في عالم هو عالم المشيئة الالهية ، حيث يتشبع كل شيء بظواهره وقوانينه فلا نرى التدخل الالهي بالعين المجردة ولكن ننظره بالعقل المسدد و الرؤية غير النظر فالرؤية حسية والنظر تدبر عقلاني في عالم المشيئة وبالتأليف بين القراءتين لا نتوقف عند السؤال كيف ؟ في الحدوث ، فحق

<sup>1</sup> الحاج دواق ، المرجع نفسه ص 119.

العقل المجرد يكشف كيف فهناك مراكز الدراسات الاستراتيجية ومعاهد العلوم الاجتماعية والإنسانية والمختبرات العلمية كلها تجيب عن السؤال لماذا ؟ ... لماذا الاسرائيليون في الأرض المقدسة ؟<sup>1</sup> .

إن للعقل القدرة التامة على التوقع حيث أنه يقوم بتوقع حدوث الأشياء أو الظواهر قبل حدوثها وذلك كله من منطلق الأسباب والمسببات وهذا ما يعرف حاليا (بالتنبؤ) حيث ان لكل ظاهرة من الظواهر تجلياتها هذه التحليلات لا تشكل أي قصور أو حاجز أمام الفهم البشري لكن كل هذا يتم وفق الاطار المعروف والذي يراود كل إنسان و هو السؤال الذي يكون منطلقه دائما كيف ؟ هذا السؤال إذا ما تعدى إلى لماذا ؟ فإنه حتما سيقودنا إلى عالم أعلى لا بد من ولوجه إلى تعقل الكون و التاريخ و كل ما يحصل فيهما وقد ضرب لنا حاج حمد مثلا عن ذلك بإسرائيل وعودة اليهود ثم توقع الخروج بمنطق قرآني يتعدى التأليف بين القراءتين .

## ب-التوحيد بين القراءتين و التوسط النسبي

لكي نكشف عن مكونات وطاقت الكون بصفة ادق لابد لنا أن نحكم المنهجية أي لابد من التمكن منهجيا ولا يتم ذلك إلا من خلال تجاوز المستوى الأول وهو -التأليف بين القراءتين - هذا التجاوز هو بمثابة قفزة نحو جزء آخر من مستويات الجمع بين القراءتين و هو التوحيد بينهما ، فالتوحيد و إذا ما تمعنا في جوهره لوجدنا أنه بمثابة فهم العلاقة التي تربط بين الله و الكون (العالم) بمحتوياته هذه العلاقة ستوضح لنا و تبين ان الكون ما هو إلا نتاج وتحصيل حاصل بل هو عملية مقصودة وهذا يدفعنا إلى القول أنه لا مجال للصدفة في هذا الكون وعليه "...فالتوحيد بين القراءتين جمع لقرائن الزمان و المكان فليس ثمة صدفة في اقتران الاحداث ببعضها ،وليس ثمة صدفة او مصادفة في جريان الصيرورة و انسيابها عبر متغيرات الزمان و المكان ،فليس صدفة أن يولد موسى في زمان و مكان محددين وليس صدفة ان يقذف في تابوت لا يغرقه الماء ،وليس صدفة أن يقتل مصريا وقد أراد وكزه فقط ،وليس صدفة ان يهرب إلى أرض مدين ...ثم جئت على قدر يا موسى نافيا كل صدفة في

<sup>1</sup> الحاج دواق ،المرجع نفسه ص 120 .

حركة الإنسان و الوجود... وتربط الظواهر ببعضها في النسق الكوني فكل واقعة تستوي في الزمان و المكان مع واقعة أخرى ، ثم مع جملة الوقائع إنما تتربط بينها جميعا تنفي الصدفة"<sup>1</sup>.

إن المتعمق في هذا القول يرى ان منهج التوحيد بين القراءتين هو بمثابة جمع بين الزمان و المكان بالإضافة إلى نفي وجود الصدفة في اقتران الأحداث فلا مجال لوجود الصدفة في صيرورة الأحداث وهذا ما يوضح الارتباطات الكلية الموجودة في الكون ، بحيث يتجلى البعض منها في عالم المشيئة وأخرى وقها فتفعل فيه وفي التاريخ دون إدراك مباشر وتعقل واضح من البشر ، كما ان قصة سيدنا موسى عليه السلام هي بمثابة الصورة التي تعكس لنا عالم الإرادة هذا العالم الذي هو بحاجة إلى التوحيد تحليلا وقراءة من أجل أن يتجلى .

"...إن المقترنات هنا تتصل مباشرة بإرادة إلهية في صياغة الوجود و حركته... هنا يظهر فعل الغيب المباشر وليس المطلق في الوجود... هنا يتجلى الله بكل صفاته متكلمة مع موسى ، شاقا للبحر ، مفجرا للماء من الصخر ، ملكا يحكم حكما مباشرا عبر الأنبياء فيتم تفضيل الشعب المحكوم لتعلق حكمة الله به وتقديس الأرض التي تنشأ عليها مملكة الله فالتفضيل ليس لذات خصائص الشعب والتقديس لذات خصائص الأرض ، فالتفضيل والتقديس لا يرجعان إلى خصائص العناصر... وإنما التقديس و التفضيل لتعلق الأرض والشعب بحاكمية الله المباشرة"<sup>2</sup> .

إن اقتران الأحداث هو بمثابة تجلي القدرة الإلهية وذلك من خلال تسييره للوجود وحركته من خلال هذا التسيير يتجلى الله بكل صفاته ولعل الدليل على كلامنا هو ما يدونه التاريخ من أحداث حيث اذا ما تمعنا في هذه الأحداث لوجدنا أنها تسير على نفس الوتيرة إنما يوجد تغيير في الأشخاص واختلاف في الصور .

"فالله يطرح هنا - في توحيد القراءتين - وجوده بفعل مرئي ومباشر في الكون قيما ، يسميه الناس بخالق ناموس الطبيعة والمعجزات ، فتأخذ (صفاتها - أسماؤه الحسن) مداها في التطبيق المباشر فهو ملك وهو مهيمن وهو جبار

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ص 180-181.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 182 .

منتقم... فهو ملك مقدس بيد مقدسة بفعل مقدس... فالله... يتجلى بالأفعال الإرادية التي تكيف كل الظواهر على الاقتران بأعلى ما تعطيه قوانين التشيؤ و الصيرورة من ضرورة ذاتها، ولكن لا يستطيع من لا يوحد بين القراءتين أن يدرك مغزى القرائن والترابط بين الظواهر في دلالاتها المكانية و الزمانية<sup>1</sup>.

ففي هذا النوع من القراءة -القراءة التوحيدية- يبرز الله وجوده بطريقة مباشرة في الكون وهذا ما يتداول بمسمى المعجزات فإذا ما قمنا برد هذه الأخيرة -المعجزات- إلى العوامل المباشرة لن نجد لها تفسيراً وإنما نحتاج إلى تبرير أعمق وأقوى فلا نجد إلا التوحيد بين القراءتين طريقاً وحلاً لذلك .

### المستوى الثالث: الدمج بين القراءتين

"الدمج بين القراءتين، هذه القراءة في عالم الأمر المنزه أعلى درجة من عالم الإرادة المقدس و الذي هو بدوره أعلى درجة من عالم المشيئة المبارك، وهنا يتجلى الله بفعله المطلق فوق عالم المشيئة المؤلفة بين القراءتين فوق عالم الارادة الموحدة بين القراءتين فهنا امر ينزل من الذات الالهية المنزهة ليحتوي الوجود وما فيه من مظاهر الارادة و مظاهر المشيئة"<sup>2</sup>.

إن الدمج بين القراءتين يعتبر بمثابة الحوصلة أو النتيجة التي تنشأ وراء العالمين أي عالم الارادة وعالم المشيئة، فهذا النوع من القراءة يبسط نفوذه -إن صح لنا القول -على الوجود فيحتويه بكل مظاهره سواء كانت هذه المظاهر مظاهر الارادة او مظاهر المشيئة وكلامنا هذا لا يدل إلا على شيء واحد وهو أن المستويات هي بمثابة المثلث ضلعه عالم الارادة والمشيئة وقاعدته هي الدمج بينهما .

"...هنا عامل الدمج بين القراءتين صعوداً بالنفس إلى مرحلة التوحيد المطلق وهنا تتجلى معاني (قل هو الله أحد 1 الله الصمد 2 لم يلد ولم يولد 3 ولم يكن له كفؤاً أحد 4) الاخلاص، فتلك أنشودة الأرض المحرمة، المختصة

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ص 183-184 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 184 .

بذات الله المنزهة أنشودة القرآن وموسيقاه الكونية من مطلق الأمر (آتيناك به قبل أن يترد إليك طرفك) ومكان إذ كان سوى واحد من مدرسة أحمد ، نبي عالم الأمر خليفة الله الكوني على السبع المثاني و القارئ للقرآن العظيم ظهر للناس { محمداً } ... ليفتح أمام الناس عصر العالمية"<sup>1</sup>.

إن الهدف من وراء الدمج بين القراءتين هو أن يرتقي بالنفس ويدفعها إلى مرحلة التوحيد واستشهد حاج حمد في موقفه هذا بصورة الإخلاص التي يرى فيها أو بطبيعة الحال نرى فيها كل معاني التوحيد بحيث أن هذه الصورة يخاطب فيها الله العالم كله بمنطق الوسيط وبكتاب وسيط وذلك ليرفع عن الانسانية معاناتها من وراء افتقارها للمعرفة المنهجية وبهذا فإنه يعيد للعقل والغيب والحس وحتى التاريخ المعنى الحقيقي المعبر عن الكون في إطار تراتيب تشبه الحروف الموسيقية التي لا يمكن لها ان تعزف لحنا إلا في ظل اتحاد الحروف فيما بينها كذلك هو الحال بالنسبة للظواهر فكل ظاهرة فريدة لا تعرف لوحدها إنما تعرف بمعية وجود البقية وهذا يؤدي إلى عزف لحن واحد هذا اللحن ينقل النفس الانسانية إلى الملكوت الفسيح ، في هذه اللحظة تكون النفس في أحضان هذا الكون المطلق بمطلق الانسان وكذلك بمطلقية القرآن تحت سيطرة وعناية الأزلي ألا وهو الله سبحانه وتعالى وبذلك يصبح (الانسان ، القرآن ) مطلقين في مقابل الأزلي وهو الله .

" إذا فالقراءة (الدجحية) ليست عرفانية ولا من قبيل الكشف الصوفي والاستنارة (البوذية) مثلاً ولكنها قراءة مقيدة إلى النص القرآني وفق الاستخدام المميز لمفردات اللغة العربية بمنطق ألسني اصطلاحى دقيق وهذا مساق قائم بذاته"<sup>2</sup> .

هذا النوع من القراءة لا يخرج عن نطاق النص القرآني فالدمج بين القراءتين مرتبط ارتباط وثيق بالآيات القرآنية هذه الأخيرة – الآيات القرآنية – تمتاز بمفردات لغوية دقيقة كما أنه ومن خلال هذه القراءة تتلاشى المتقابلات

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ، ص 184 .

<sup>2</sup> استيمولوجية المعرفة ، المصدر نفسه ص 382 .

وتذوب وتنصهر في نطاق كتاب وشخص وأمة "هنا يجتمع الامر الالهي بالعبودية الكاملة (أمرت أن أعبد مع خصائص الأرض الحرام ) -البلدة التي حرّمها -و الأرض الحرام أعلى مرتبة من الأرض المقدسة ،فالبيت الحرام يرتبط بعالم الامر الالهي حيث التعلق بالذات الالهية فيما ترتبط الأرض المقدسة بعالم الارادة الالهية حيث الصفات الالهية ...وحيث امتداد الانسان إلى ما قبل الميلاد وما بعد الموت " <sup>1</sup>.

فالفائدة المنهجية وراء الجمع دمجاً هو التمكن من اصطحاب ومزامنة الظاهرة وذلك وفق منهجية الوحدة العضوية التي ينفرد بها القرآن الكريم حيث يصاحب هذه الظاهرة قبل تكوينها أصلاً .

<sup>1</sup> الحاج دواق ، المرجع نفسه ص 126.

## الفصل الثالث : انطولوجيا الجدل

### مدخل :

إن مشكلة البشرية في مرحلة وعيها كانت تتمحور حول التصور الاحيائي والتصور المادي، فالتصور الاحيائي سعى إلى تأليه الظواهر بحيث أصبح لكل ظاهرة إله خاص بها، في حين أن التصور المادي نفى تحكم الله في الظواهر واعتبرها مستقلة في حركتها ووضعت الله خارج الزمان والمكان، بحيث يقتصر فعله على الدفعة الأولية للوجود الكوني وحركته .

المهم أن البشرية في هذه الفترة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعابد والطقوس والشعائر... وهذا راجع إلى كونها بأمس الحاجة إلى وجود إله وذلك نظرا لجملة الظواهر التي كانت تواجهها في حياتها اليومية .

ويعتبر حاج حمد أن القرآن الكريم هو المخرج الوحيد الذي يخلص هذه الشعوب من الاستلابات اللاهوتية الحاصلة وذلك نظرا لما يحويه -القرآن الكريم - من شواهد وقصص للأنبياء الذين حاولوا نفي ما جاءت به العقليتين (الاحيائية و المادية) وهذا من خلال جهتين، الجهة الأولى محاولة تخلص الانسان من فكرة الألوهية التي كانت تقتصر على الظواهر و الأصنام... وكذلك لتبين أن الاله الذي يتخذونه هو اله عاجز غير قادر لا على حماية نفسه ولا على اعطاء صفة الكمال لها بالإضافة إلى أنها جاءت -النبوات - لتنفي صفة التجسيد والحلول عن الاله، ومن جهة ثانية سعى الأنبياء للإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الانسان حول هذا الاله الغير مرئي الذي يدعون إليه .

وباعتبار أن القرآن هو بديل حضاري عالمي -على حد تعبير حاج حمد - فإن ميادين المعرفة فيه تنقسم إلى قسمين هما : الغيب و الشهادة، هذان العنصران يمثلان ثنائية الوجود حيث أن الله يمثل الطرف الأول في هذا

الوجود ، في حين يمثل عناصر هذا الكون طرفه الثاني وهذا المنطلق يفرض علينا سؤال جوهرى في بحثنا هذا وهو نوع العلاقة القائمة بين هذين العالمين - عالم الغيب و عالم الشهادة - ؟

وليحيينا حاج حمد عن نوع العلاقة التي تربط بين العالمين سعى إلى تقديم نماذج من قصص الأنبياء ولم يكتفى بالتحليل .

## المبحث الأول :القراءة الابراهيمية

ويحدد القرآن هذه المستويات للجمع بين القراءتين في ثلاث من خصائص النبوات ،فإبراهيم هو القارئ لعالم المشيئة المباركة والتي تتصل بظواهر الوجود وحركته وأفلاكه... فيصل من خلال الكون ... إلى الله "1. يعتبر إبراهيم عليه السلام هو الباحث في عالم المشيئة هذا العالم هو عالم مرتبط ارتباط وثيق بالوجود و ظواهره - وهذا ما تطرقنا عليه سابقا - فمن خلال بحثه في هذا العالم أي في عالم المشيئة توصل إلى الله ، أي من خلال الموجود توصل إلى خالق الوجود ،حيث أن ابراهيم عليه السلام أسس "مفهوم العلاقة بين الله والكون وفق التصورات المكانية في عالم المشيئة حين بدأ بالنظرة الاحيائية في الظواهر الكونية المكانية فتهياً إلى رفض الاحيائية والشرك "2.

فإبراهيم عليه السلام كان يعاني من نفس المشكلة التي عانت منها البشرية من وراء التصور الاحيائي حيث كان منطلق عبادته احيائيا فنظر الى الظواهر على أنها الهة قال تعالى "فَلَمَّا رَأَ الْأَقْمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي

<sup>1</sup> منهجية القرآن ،المصدر نفسه ص 179 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 179 .

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لِّإِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ

بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ الأنعام .

فإبراهيم عليه السلام جعل من الشمس والقمر والكواكب الهة له بصفقتها تحمل معاني الكمال وذلك لأنه يرى أن الكمال ابرز و أهم صفة للإله. لكن هذه الكواكب وجراء افولها فقدت هذه الصفة مما أدى بإبراهيم عليه السلام رفض ربوبيتها والأفول بهذا المعنى لا يعني الغروب ولا الاحتجاب ، وذلك لان ابراهيم عليه السلام يعرف منذ نعومة أظفاره ان الشمس تغرب والقمر يختجب ، فلو كان معنى الافول ينطبق على الغروب والاحتجاب لما عبدها من البداية لأنه كان يعرف ذلك ، وعليه فالأفول هنا يعني نقص الهيئة -على حد تعبير حاج حمد - الذي ضرب لنا مثالا عن ذلك بالناقة الافول أي الناقة الناقصة التكوين والمولود الافول هو المولود الذي يكون ناقص التكوين وهنا ينطبق أفول الشمس على كسوفها و افول القمر على خسوفه اما الكواكب فأفولها على طمسها ،فنقص الهيئة يتناقض مع الكمال فإذا كانت الظواهر الطبيعية قابلة لزوال والاضمحلال بسبب الأفول فان الاصنام بدورها خرساء ،صماء لا هي بالنافعة ولا بالضارة هذا ما دفع ابراهيم عليه السلام الى رفضها ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

لَأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرْنُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ الأنعام 74 .

"ابراهيم يبحث عن الاله (الكامل) ، الذي (يسمع) و (يتكلم) ويحقق...وهي دلالات غير موجودة في الاصنام الخرساء والبكماء وفي الظواهر الطبيعية التي ينقص تكوينها"<sup>1</sup>.

لذلك ذهب ابراهيم عليه السلام بعقله الى البعيد لينغمس أكثر في البحث عن اله تتجسد فيه الصفات المطلوبة أنه (كامل، يسمع ، يتكلم ،يشعره بالأمن والأمان ) هذه الصفات أو الدلالات كما أطلق عليها حاج حمد لا

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 198.

تنطبق على الأصنام ولا على الظواهر الطبيعية ليتجه به رشده ويجد أنها تتعلق بفاطرها- فاطر الظواهر الطبيعية -

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

الْتَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ

كُنْتُمْ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا

سَمِعْنَا فَنَقَىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ

هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلَمَّا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَعَلِينِ ﴿٧٥﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٦﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٧﴾ النبء 51-70.

اختبر ابراهيم عليه السلام قومه فوضعهم امام الحقيقة من خلال تجربته على الاصنام ، حيث أنه عمد على قطع او بتر ساق أو راس أو يد هذه الاخيرة - الأصنام وهذا ليسقط عنها اهم دلالات الالهية المتمثلة في (الكمال) لتصبح ناقصة ، افولة ليقى عليه السلام على كبيرهم كاملا تنطبق عليه كل صفات الالهية وعند قدوم القوم وبعد سؤالهم عن من فعل بألتههم ما لا يجراً على فعله أحد من قبل ، ليطلب منهم ابراهيم عليه السلام الجوع الى كبيرهم بالسؤال ، وحتما لم يكن له -كبيرهم- القدرة على النطق و الاجابة ، وبهذا تكون قد سقطت كل دلالات الالهية من كمال وسمع ونطق لتصبح بذلك ناقصة هيئة بكماء صماء.

بالرغم من الدليل القاطع الذي أراد به ابراهيم عليه السلام نفي صفات الالهية من الاصنام إلا ان جزاءه من قبل قومه أن يرمى في النار نصرة لألتههم ولمشيئته عز وجل "فاطر السموات والأرض المهيم على الطبيعة وظواهرها هو فاطر النار المحرقة... فلما ألقوه في النار انفصمت صورة النار عن فاعلية الاحراق"<sup>1</sup>.

لتكون هذه التجربة بمثابة دافع قوي ليتجه ابراهيم عليه السلام - بعد العقلية الاحيائية - الى من جعل بمشيئته النار بردا وسلاما ، وبالتالي يتحقق مفهوم الأمن الذي يمكن أن نعتبره ركيزة أساسية يحققها كل راعي مسؤول عن رعيته .

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 199.

لم يقتصر بحث ابراهيم عليه السلام عن اله فاطر الكون فقط ، لكنه يريد ان يتعرف من خلاله على الوجود نفسه وعلى مصير الانسان فيه وعلى مستقبله ، "لهذا كان يبحث عن الاله الذي يسمع وينطق مستجيبا ويعطي الأمن وهو ما لم يجده في التماثيل و الظواهر الطبيعية"<sup>1</sup>.

امتد بحث ابراهيم عليه السلام الى البحث عن نهايات الانسان ومستقبله ، ولهذا كان يبحث عن اله تتجسد فيه كل دلالات الالهية ، وبعد توصله الى الاله الكامل تبادر الى ذهنه السؤال الذي كان دافع للبحث عن -الاله- وهو السؤال الذي أراد به أن يطمئن و يرتاح قلبه من مصير - المفطورات - بعد نهايتها و فنائها وهذا السؤال كان نتيجة افول الظواهر كاملة حيث انه سبحانه وتعالى يعيدها من جديد بعد افولها ، فإبراهيم عليه السلام هنا تسائل عن مصيرها بعد فنائها "... ولهذا فان ابراهيم لم يطلب احياء الموتى كمعجزة تخضه عن الايمان ، لكنه طلبها ليطمئن من بعد أن عرف مصيرها المتعلق بالله ، فاطرها من بعد افولها ، فإن كان الله يجدد ما يأفل من الظواهر باسترجاعها إلى كامل هيئتها ، فكيف يفعل تجاه فنائها أو موتها ؟ قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ

كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ البقرة

60<sup>2</sup>.

و بعد قصة الطيور الأربعة التي جعلها الله سبحانه و تعالى دليلا على قدرته على احياء الموتى و وقوفا عند طلب إبراهيم عليه السلام ، بحيث طلب الله من إبراهيم تقطيع أربعة من الطير إلى قطع أو أجزاء و وضع كل جزء في جبل قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية، المصدر نفسه ص 200.

<sup>2</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، المصدر نفسه ص 313 .

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ تَحْزَنُونَ

سورة البقرة 62 ، أي ( شرقا و غربا ، شمالا و جنوبا ) ثم يدعوها ابراهيم اليه فتأتي حية من كل الجهات ، أي

يعاد تركيبها بعد أن جزئت .

طلب الله من إبراهيم إعادة بناء مكة و دعوة الناس إلى إتمام الركن الخامس من أركان الإسلام و هو الحج ، قال

تعالى " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ

الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَابِيسَ الْفَقِيرِ " الحج 27-28 ، و هنا تستوقفنا فلسفة القربان - على

حد تعبير حاج حمد -

هذه الفلسفة أنهى بها البحث الإبراهيمي في عالمه أي في عالم المشيئة و يقصد من وراء هذه الفلسفة هو شكر الله

و حمده على نعمته و هو نوعان :

قربان مادي : يتمثل في تقديم الأنعام و هو قربان يعطى للإنسان من طرف الكون . أما النوع الثاني فهو قربان

نفسي : و عندما نقول نفسي فنحن نقصد العبادة ، فهو قربان يقدمه الإنسان لله و ذلك لأن " العلاقة مع الله

ليست كعلاقة الإنسان مع الكون أي ليست كعلاقة ثنائية مادية يفتقر فيها الله بوصفه شيئا سبحانه إلى القربان

المادي ... و لا يفتقر حتى إلى القربان النفسي بما في ذلك العبودية له " <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ص 190 .

إن علاقة الإنسان بالكون هي علاقة لا تخرج عن إطار المادة حيث أن الكون يسخر للإنسان متطلباته المادية ،  
هذه العلاقة تختلف باختلاف كبير عن علاقته بربه و ذلك لأن الله [ غني عن العالمين ] غني مادي

و نفسي بل الإنسان هو الفقير و الذي يحتاج وجود الله في كل خطوة يخطوها " فيكون الشكر منا له بالعبودية  
1. "

و هي قربان الإنسان لله ، كما الأنعام قربان الكون للإنسان فحين يرى الانسان في المنام بأنه يقدم ابنه قربانا لله  
فذلك يعني أنه " يقدم قربانا عن (المكان) شكرا على الكون الذي شيأه الله للإنسان "2.

وهنا نذكر قصة سيدنا ابراهيم ورؤية ذبح ابنه اسماعيل حيث كان المطلوب من وراء تقديم قربان مادي هذا القربان  
يشبه في بنيته البنائية الكونية فالإبل " تماثل في بنائيتها البنائية الكونية بسنامها كالجبل و يخفها كسطح الارض و  
بقوائمها كأعمدة السماء التي لا نراها"3.

لكن ابراهيم عليه السلام حاول تطبيق ما جاء في الرؤية كاملا فبعث الله بذبح عظيم لكن الاسرائليون و من  
خلال الكتب السماوية السابقة عن القرآن زيفوا القصة و جعلوا من الله اله محبا لدماء متعطشا لها ، اله ظالم و  
ذلك لأنه يسرق طفل من أحضان امه و يقدم كقربان له ن لكن المفسرون حاولوا ابطال هذه الاكاذيب و اعادوا  
استرجاعها بكل صدق و فسروها تفسيراً منطقياً يرجع لله هيئته و عزته لان تفسير الاسرائليون و تزيفهم للقصة  
هو بمثابة تزيف لعلاقة الله بالإنسان كيف ذلك؟

ان الصورة التي رسمها الاسرائليون عن الله هي صورة مأساوية تجعل من الطفل الصغير يهاب ويخاف من هذا الاله  
المتعطش للدماء الطالب للقرايين البشرية المشوية.

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ، ص 190 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 190 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 190 .

"بعد هذا التوضيح الضروري نعود الى القول بأن العبودية الكاملة لله هي القربان الانساني ، تماما كما يقدم الكون قربانه من الانعام الى الانسان...وعبر فلسفة القربان...تتضح معالم العلاقة الانسانية مع الله" <sup>1</sup> .

وهنا و ما يمكن قوله أن القربان البشري الذي يقدم الى الله يتمثل في العبادة بكل انواعها ، اما القربان الكوني الذي يقدم للإنسان فهو بمثابة الانعام . و من خلال فلسفة القربان تبرز لنا نوع العلاقة التي تربط بين الانسان بربه حيث "اسس ابراهيم مفهوم العلاقة بين الله والكون وفق التصورات المكانية في عالم المشيئة حين بدا بالنظرة الاحيائية في الظواهر الكونية المكانية فتهدى الى رفض الاحيائية و الشرك" <sup>2</sup> .

في البداية - كما سبق لنا الذكر - سعى ابراهيم للبحث عن الاله من خلال الكون بحيث اتخذ من الظواهر الهة له ورفض تجسدها في الاوثان والأصنام إلا ان الافول جعله يدرك الحقيقة في أن الظواهر الطبيعية ليست بالاله انما فاطر هذه الاخيرة هو الاله الكامل الحق بالعبودية .

ان تحليلنا لمركبات التصور الابراهيمي للكون وما توصلنا اليه من تغير في معتقدات ابراهيم عليه السلام من خلال رحلة بحث عن الاله في الكون ن فقد كان احيائيا ثم توصل الى فاطر الكون الذي يستحق العبودية فكان العقل الفطري السليم على حد قول حاج حمد بمثابة المصباح الذي انا له طريق الحق حيث " أتى ربه بقلب (سليم) بوصفه الها (فاطرا) للسموات و الارض يسمع و ينطق و يستجيب للعلاقة مع الإنسان" <sup>3</sup> .

ومن هذا تبرز العلاقة بين (الانسان ، الكون ، الله ) هذه العلاقة تنشأ من خلال الكون هذا الاخير و بكل ما يحويه من ظواهر متنوعة يطلب وجود انسان و الذي يصبح مركزا له

<sup>1</sup> منهجية القرآن المعرفية ،المصدر نفسه ، ص 194.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ،ص 196.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 202.

- للكون - ووجود الانسان على الكون يتطلب وجود اله هذا الاله يتم شكره عن طريق الانسان على نعمة وجود الكون (المكان) وهذا ما يطلق عليه سابقا بفلسفة القربان،

"هكذا نفهم الابراهيمية ... في صياغ العلاقة بين الله والكون من خلال الانسان أي جدلية الغيب و الانسان والطبيعة بمراتبها الثلاث أيضا ن و الجدلية هنا بمعنى التفاعل المنضبط عبر الصيرورة و التحول من بداية للخلق الى غاية الخلق ... فالجدلية اشارة الى تفاعلية ضمن تحول لا ينقطع ولكنه تحول ممنهج بالغاية الالهية"<sup>1</sup>.

من خلال التجربة الابراهيمية تتضح لنا معالم الجدليات الثلاث الانسان ، الغيب و الطبيعة حيث أن الجدلية القائمة بينهم هي جدلية تفاعلية تسير وفق صيرورة غائية هذه الصيرورة بدايتها بداية الخلق و التي تتجه نحو غاية و هدف و هذا ما يدفعنا الى نفي الصدفة فالأحداث و الوقائع و الظواهر الموسومة في الكون و المرتبطة فيما بينها ، هذا الارتباط هو ارتباط و حدوث ارادي يقف وراءه الله سبحانه وتعالى.

## المبحث الثاني : القراءة الموسوية

ما خلصنا اليه في القراءة الابراهيمية هو القول بنفي الصدفة ونفي الصدفة بدوره يقودنا الى تجربة موسى عليه السلام و العبد الصالح.

موسى عليه السلام هو "الذي أعد ليقرا في عالم الارادة المقدسة حيث يطور وعيه من التعلق بقوانين التشيؤ السببية ... الى ربط التشيؤ بالإرادة الالهية"<sup>2</sup>.

اختار الله موسى في تجربة اراد من خلالها الكشف عن العلاقة التي تربط بين الغيب (الله) وما يحدث في حركة الواقع هذا الأخير تنفى -بضم التاء - عنه كل صدفة فكل الحوادث التي تقع في الكون لا مجال لصدفة فيها ،

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص 204.

<sup>2</sup> منهجية القرآن المعرفية ، المصدر نفسه ص 179.

حتى ترابط الظواهر ببعضها البعض بكيفية تنفي الصدفة وقصة سيدنا موسى عليه السلام المتجسدة في سورة الكهف خير دليل على مبدأ نفي الصدفة ، قال تعالى "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴿٦٤﴾ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٥﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴿٦٦﴾ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٧﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٨﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٩﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٠﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيًّا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴿٧٥﴾ \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ

عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ

قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ

لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ الكهف: 60-77.

من خلال هذه الآيات والتي كانت تجمع بين موسى - عليه السلام - و العبد الصالح في قصة تحكي في ظاهرها عن رجل يقوم بأعمال و تصرفات تبدو للعيان على انها غير مقبولة و لا تتماشى و معتقدات الدين الاسلامي إلا ان حقيقتها و جوهرها ما هي إلا أمر من الله سبحانه و تعالى و بالتالي هي دليل على وجوده - عز وجل - في أفعال عباده.

في هذه الآيات " اصطحب المعلم موسى ووضعه منذ بداية الرحلة أمام فارق هام في طبيعة علمه قياسيا الى علم موسى ، فعلم موسى خبر ... أما علم الرجل الصالح فهو علم متعلق بفهم الأمور في حقائقها عن الله " <sup>1</sup>.

منذ بداية الرحلة -والتي كانت عبارة عن تجربة - أراد الرجل الصالح أن يبين الفرق الموجود بين علمه وعلم موسى عليه السلام " كيف تصير على ما لم تخط به خبرا" فعلم موسى علم خبري هذا العلم يقتصر على الأشياء المعلومة اما (نقلت اليه سمعا أو عايشها في محيطه في حين أن علم الرجل الصالح فهو علم لديني\* ، ولصعوبة الدمج بين العلمين استخدم الرجل الصالح الأسلوب الترشيدي الخبري و اعتبره رابطة و واسطة بينه وبين موسى عليه السلام اذ طلب الرجل الصالح من موسى عليه السلام شرطين يجب عليه أن يلتزم بهما طوال الرحلة ، حيث

<sup>1</sup> محمد أبو قاسم حاج حمد: العالمية الاسلامية الثانية جدلية الغيب ،جدلية الغيب و الإنسان والطبيعة، دار الهادي ، ط 1، 2004، ص 177.

\*علم الباطن بمعنى يتلقى من عند الله تعالى

كان أولها (الصبر) وبطبيعة الحال فموسى عليه السلام مثله مثل بقية البشر قليل الصبر وخاصة عند رؤية منكرا فلصبر وفي هذه التجربة على غير عادته المقصود هنا ان الصبر صفة ايجابية لكن في هذه التجربة حمل صفة السلبية لأن الصبر في العلم سلبى فالمتعلم الصبور يكون علمه قليل لأنه لا يندفع نحو طرح الاسئلة وهذا هو الشرط الثاني الذي قدمه الرجل الصالح لموسى عليه السلام.

ان الهدف من وراء الشرطين هو دفع موسى عليه السلام الى التفكير و التأمل في المقابل يقدم الرجل الصالح منطلقات يبني عليها موسى عليه السلام تصورات و يعتبرها منطلقا للوصول الى الحقيقة أو ليحيط بالأمر كله قال تعالى { قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا } هذا الذكر هو بمثابة جزء من الحقيقة لا الحقيقة بكاملها وهذا هو " اسلوب الترشيذ الخبري وقد صمم على هذا النحو لتكون نتيجة الانتقال بموسى من ظاهرة الأمر الى حقيقته ، ومن موضعية الحركة الى امتدادها الغيبي"<sup>1</sup>.

فمن خلال هذا الاسلوب الترشيذي الخبري يتم انتقال تفكير موسى - عليه السلام - من السطحية الى ادراك الحقائق المحجوبة حتى يصل به الأمر الى امتدادها الغيبي أو مصدرها الفعلي و هو الله.

وضع العبد الصالح سيدنا موسى أمام ثلاث مواقف أولهما خرق السفينة و ثانيهما فو قتل نفس زكية تمثلت في غلام أما ثالث المواقف فهو بناء جدار ، وكان موسى في كل مرة و بعد كل موقف يستنكر فعل الرجل الصالح وبالتالي ينقض العهد الذي قطعه في البداية والمتمثل في الصبر و عدم السؤال اذ كانت ردت فعله اثر خرق السفينة في حدود الزمان و المكان أي أنه لم يتعمق أو يحاول فهم الحادثة خارج اطارها الزمكاني أي ردت فعل أنية حيث أنه ربط فعل الخرق بغرق السفينة وهذا ما دفع به -موسى عليه السلام - الى أن يستنكر هذا الفعل في حين لم تخرج ردت فعله جراء قتل الغلام عن الاولى وذلك لان موسى عليه السلام اعتبر ان قتل نفس زكية بدون ذنب منكر أما الفعل الثالث فقد اقترح سيدنا موسى على الرجل الصالح أن يأخذ أجرا جراء بناءه للحائط

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، لمصدر نفسه ص 178.

و ذلك لان أصحاب القرية أبو اطعامهما ، ولتقديم تفسيرات لهذه الأفعال قدم الرجل الصالح بعض الذكر وذلك ليستند عليها سيدنا موسى و يعتبرها بداية لبناء تصوره الغيبي فحرق السفينة لم يكن ليغرق أهلها وهنا ينفي التلازم الشرطي الذي يتطلب وراء كل حرق لسفينة غرقها و بالتالي تتجلى قدرة الله حيث ان السبب من وراء حرقها هو حمايتها من احد الملوك الذي يأخذ كل سفينة بالغصب ، كما ان قتل الطفل الصغير المهدف من وراءه تخليص والديه من طغيانه و كفره اذ استمر في الحياة وبالتالي فقتله هو رحمة بوالديه الصالحين و هنا ايضا تتجلى العناية الالهية ، بالنسبة للجدار فالسبب من وراء اقامته هو وجود كنز تحته لغلامين يتيمين كان والدهما رجل صالح فأقامه خشيت سقوطه قبل وصولهما و بالتالي يأخذ اصحاب القرية هذا الكنز.

هذه التجارب الثلاث هي بمثابة تجسيد لإرادة الله حيث أن العبد الصالح كان " منتدبا من الله لتجسيد ارادته الغيبية في حركة المادة و بشكل ملموس ولذلك صبر على موسى مرات ثلاث ... لذلك لم يكن فعل العبد الصالح سوى نموذج لوجود الله في مسيرة الفعل البشري دون أن يكون الوجود الالهي واضحا في الفعل كما هو وجود العبد الصالح في فعل ما فعل و دون أن تكون حقائق الفعل ونتائجه واضحة للفهم البشري"<sup>1</sup>.

جاء العبد الصالح ليبين ارادة الله سبحانه و تعالى في تسيير حركة الواقع والدليل على ذلك أن الافعال الثلاث (الحرق ، القتل ، البناء ) لم تكن لازمة شرطية لمقدماتها فالخرق يستلزم الغرق لكن ارادته تعالى غيرت النتائج كما أن حقائق التجارب الثلاث تختلف عن ما تعطيه نتائج هذه التجارب .

وعليه فالفعل الذي أقدم عليه العبد الصالح ما هو إلا نموذج على وجود مضمّر غير ظاهر للعيان انما يتم التعرف عليه عن طريق التأمل و التفكير و التدبر فكان " على موسى أن يدرك هذه الحقيقة بالذات (الاحتجاب و الوجود في آن واحد)... لا شك أن ادراك مثل هذا الأمر يحتاج الى تدبر عميق و بطريقة خاصة ... ان المطلوب ليس مجرد فهم الواقعة ، ولكن تنمية قدرات الفكر و التأمل ليتكون لدى كل انسان طريقته الخاصة ، نهجه

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 180 .

الخاص (حكيمته) في فهم و رؤية فعل الله مجسدا في الحركة أي وجود الله في الحركة و بكيفية غير حلولية و غير ما ورائية"<sup>1</sup>.

ان اختيار الرجل الصالح لأسلوب الترشيد الاخباري كان الهدف من وراءه التطلع الى ما وراء الواقعة لا لفهم الواقعة كما هي عليه فهذا النوع من الاساليب ينمي قدرات الفكر مما يؤدي بكل انسان الى ادراك و رؤية فعل الله تعالى المتجسد في الحركة هذا الادراك هو بمثابة استنباط الذي هو بمثابة تيقن على وجود حكمة الله في الفعل الانساني و كأن الانسان ومن خلال هذا الاسلوب يطرح سؤالا بمقتضاه يصل الى الحكمة الالهية المرجوة من وراء ذلك الفعل .

كما سبق لنا الذكر أن سورة الكهف و التي تحمل آياتها تجربة موسى عليه السلام تثبت مبدأ نفى الصدفة في حركة الكون و ذلك لان هذه التجارب الثلاث التي وضع فيها موسى ما هي إلا مراحل حياته عايشها مرة ثانية و هذا ليدرك عليه السلام حقيقة وجود الله في حياته ولیدرك كذلك الهيمنة الالهية و انه لا مجال للمصادفة و ان كل شيء مسير و مقدر من الله عز وجل.

والآن نأتي الى مماثلة التجارب الثلاث في حياة موسى نفسه "كانت التجربة الأولى تجربة السفينة فمن وراءها ملك يأخذ كل سفينة غصبا و هي تماثل تجربة حياة موسى في التابوت حين ألقته أمه في اليم ومن وراءه فرعون آمرًا بقتل كل طفل اسرائيلي .... التجربة الثانية قتل الغلام - النفس الزكية - فيما بدا لموسى بغير نفس و هي تماثل تجربة المرحلة الثانية من حياة موسى حين وكزه أحدهم فقصى عليه فموسى لم يقصد القتل و لا سعى اليه ... وكانت التجربة الثالثة في بناء الجدار مماثلة للمرحلة الثالثة من حياة موسى وهي مرحلة وروده ماء مدين "<sup>2</sup>.

فمثلا لم يصبح غرق السفينة لازما شرطيا لخرقها كذلك هو الحال بالنسبة لتابوت فإلقاءه في اليم لم يكن

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 180.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 184-185.

كمقدمة شرطية لغرقه و هذا لا يدل إلا على أنه عندما تتدخل القدرة الالهية تبطل النتائج التي تكون لازما لأسبابها و عليه "يأخذ المعنى منعطفًا خطيرا في تجربة موسى اذ يوضح الله له من خلال الأبعاد الغيبية فعل العبد الصالح"<sup>1</sup>.

اذ أن هذه الأبعاد هي أبعاد خفية غير معلومة لدى موسى و هذا يدفعنا الى القول أنه يجب على الانسان أن يلتزم لأوامر الله التزاما مطلقا و ذلك كونه تعالى محيط و مدرك لأفعال الانسان أكثر من الانسان نفسه هذا الاخير ليس من الضروري أن يلم بأبعاد الفهم الالهي من أجل أن ينفذ اوامره و ذلك لان الأمر الالهي في جوهره رحمة و عناية مطلقتين وهذا ما أوضحته لنا تجربة العبد الصالح و موسى عليه السلام.

فإذا ما تأملنا في حياة موسى لوجدنا أنه لم يرفض لله أمرا لكنه كان متحفظ ينتابه الخوف و التردد في المواقف التي لا يحيط بها علما ففي سورة طه يقول تعالى {قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخف اني معكما اسمع و أرى}، فموسى عليه السلام و اخاه هارون كانا خائفين من حدث المواجهة مع فرعون لكن الله تعالى يؤكد حضوره التام في الفعل "فالعقل الموسوي كان متعلقا في رؤية الحركة بشروطها الموضوعية و لذلك نجده يطلب عنصرا مساعدا... بالإضافة الى العنصر الغيبي"<sup>2</sup>. فموسى عليه السلام طلب من الله أن يذهب معه أخاه

هارون لمواجهة فرعون قال تعالى " قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٢٦﴾ وَأَخِي

هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢٧﴾ "

القصص 33-34.

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 186.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 186.

كما ان الارادة الالهية متعلقة بالزمن "فالله لا يهيمن على الحركة الكونية في ظواهرها و اشكالها و حركتها ولكن أيضا في توقيتها ن أي عامل الزمن نفسه وبذلك تتجلى قدرة الله في ضبطه للزمان و المكان ضمن حركتها في المجال الواحد ، فكما هي تجليات قدرته في الظاهرة كذلك تجليات قدرته في سياقها الزمني"<sup>1</sup>.

حيث أن الله تعالى واعد موسى لكن موسى عليه السلام جاء متقدما عن الموعد هذا التقدم في التوقيت أدى به الى نتائج وخيمة وموسى عليه السلام مثله مثل باقي الناس يتعجل القضاء و ينظر الى الامور و الأحداث على انها مصادفة قد تكون مصادفة حسنة او سيئة متناسين في ذلك الحكمة الالهية و قدرته تعالى في تسيير الامور. وعليه فحكمة التوقيت كما اطلق عليها حاج حمد هي بمثابة نفي للمصادفة العشية وتجعل -حكمة التوقيت - للإحداث ناظما لها.

"خلاصة الامر هنا أن الله قد اراد لموسى أن يربط بين الغيب و الواقع ليعبر من خلال وحدتهما الى تجربته الوجودية و يتفهم طبيعة مساره في الحياة و التجربة الموسوية تجربة غنية...أخذنا منها جانب الربط بين الغيب و الواقع لنوضح فعل الله الآتي في مسيرة الفعل البشري"<sup>2</sup>.

## المبحث الثالث : القراءة المحمدية

للوصول الى القراءة المحمدية يجب علينا لزاما أن نقف عند القراءتين ( الابراهيمية و الموسوية )و ذلك باعتبار ان القراءة المحمدية قراءة تحوي كل منهما -الابراهيمية و الموسوية - هذا ما يفرض علينا توضيح هذا الاحتواء. فمن خلال الاحوال الثلاث التي مر بها موسى عليه السلام تظهر و تتبين لنا الجبرية الالهية بمعنى ان الله مستحوذ على الانسان و كذلك على الطبيعة ، فمن خلال هذه التجارب يتضح لنا انه لا مجال لحرية الانسان "غير ان

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 190.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 215.

تحليلنا لا يتجه قطعاً الى هذه الغاية... فالفهم المطلوب يتعثر دون منهجية تأخذ بالكونية و التوسطات الالهية من جهة ورؤية الفعل داخل الذات المدركة من جهة أخرى<sup>1</sup>،

وعليه و لكي نصل الى فهم الحقيقة المضمرة وراء الأفعال لابد لنا من منهجية محكمة ورؤية من داخل الذات المدركة ، والذات المدركة هنا هي موسى عليه السلام حيث نجد أنه قد تصرف تصرفاً طبيعياً مرتبطاً بشروط موضوعية هذه الشروط تمنع الانسان من أن يدخل في حساباته الاستحواذ الالهي على الفعل الانساني، فما يجب علينا ان نفهمه في هذا المستوى هو ان علاقة الانسان بربه "علاقة موضوعية مؤمنة لا تنتهي لبحث قضايا الاستحواذ الالهي على الفعل وفي هذا المستوى... تظهر حرية الانسان و استقلالية القانون الطبيعي على أكمل وجه سواء كان الانسان مؤمناً أو ملحدًا"<sup>2</sup>.

في حين أن العقلية الابراهيمية و التي توصلت الى الاله من خلال الظواهر هذه الاخيرة كانت نقطة البداية لإبراهيم عليه السلام ليكتشف أنه من وراء هذه الظواهر اله يتحكم فيها بمعنى أدق يستحوذ عليها دون حلولية "أي بمنطق الخلّة حيث يصبح المكان امتداد لكلمة الالهية كفاطر السموات و الارض ، و مسخراً للمكان من أجل الانسان و يطلب منه الشكر القربان على المكان"<sup>3</sup>. أما فيما يخص موسى عليه السلام فلم يطلب منه الامتثال لعالم المكان انما كان المطلوب منه فهم العلاقة او الترابط الموجود بين (الزمان والمكان) في الفعل الالهي وذلك من خلال التجارب الثلاث التي مر بها عليه السلام ؛ اما فيما يخص صيغة السؤال التي تأخذنا الى عالم الارادة فهي تختلف عن الصيغة التي تؤدي بنا لعالم المشيئة اذ ان موسى عليه السلام و للوصول لعالمه يطرح السؤال لماذا ؟ كقولنا لماذا وصل موسى والرجل الصالح الى مكان الجدار ربي تلك اللحظة ؟ في حين ان تساؤلات ابراهيم عليه السلام لم تخرج عن نطاق البحث عن الكيفية المكانية {كيف تحيي الموتى}.

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 221.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 222.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 222.

"هذه اللماذا هي فاتحة التطلع من المكانية كيف الى الكونية حيث يتم البحث في مفهوم المصادفة و عما اذا كان من وراء كل ما يبدو صدفة عمل الهي منظم فإذا أدركت عقولنا ...وجود عمل الهي ناظم انتقلنا بمستوى التفكير من منطق عالم المشيئة كيف الى منطق عالم الارادة لماذا ؟ ووقتها ننتقل من الرشد العقلي الى الحكمة " <sup>1</sup> ، فمن خلال طرحنا السؤال بصيغة لماذا فنحن بهذا السؤال نكون قد تجاوزنا المكانية كيف الى الكونية فمن خلال السؤال لماذا نتجه عقولنا للبحث عن الهدف من وراء هذا الفعل حينها سندرك انه يوجد عمل الهي هذا الادراك هو بمثابة انتقال بمستوى التفكير من عالم المشيئة كيف الى عالم الارادة لماذا هذا الانتقال هو بمثابة قفزة نحو الحكمة متجاوزين بذلك الرشد العقلي.

"فالله على مستوى المشيئة ينبه الانسان الى قوانين الوجود على المستوى العقلي ... اما في حالة الفعل الارادي فالمسألة تختلف اذ أنها مبنية على النسبية و التوسط ، ليست قيда على الانسان ولكنها لإفهامه و الارتقاء بمستواه " <sup>2</sup> ففي عالم المشيئة يتم التأليف بين كيفية خلق الكون و وجود فاطر له هذا الأخير — فاطر الكون — يتوجه اليه الانسان بالشكر على المكان عن طريق القربان — كما ذكرنا سابقا —

أما في عالم الارادة النسبية يتم التوحيد بين الزمان والمكان في الكون مع وجود اله مسير و منظم لهما — الزمان و المكان — هذا التنظيم ينفي مبدأ الصدفة في مجريات الأحداث كما أنه ليس من باب الجبر فالله سبحانه و تعالى يبين لنا ما ينبغي علينا فعله لا ما يجب فعله " فإذا بدا الأمر من نوع الجبر بمنطق الارادة فانه ليس كذلك على مستوى تصورات عالم المشيئة " <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 223.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 223.

<sup>3</sup> المصدر نفسه 224.

ان محاولة فهم الارادة الالهية في الفعل الانساني تكمن في اتحاد الزمان بالمكان هذا الاتحاد يعطي للإنسان القدرة على التركيب و الاستكشاف من أجل بلوغ غاية هذه الغاية تكون بمقتضى كوني يتم من خلال السؤال الفلسفي لماذا؟

"لم يشأ الله قط أن يوازي بين فعله على مستوى الارادة و اصدار قوانين جبرية تستلب بشكل لاهوتي أحادي جدل الطبيعة و جدل الانسان ، فمن نهايات التأمل في الكون و حركته على مستوى الارادة يقود الى نفي العبثية و يثبت الغاية و الاتجاه دون اعطاء الغاية و الاتجاه معنى جبريا"<sup>1</sup> فالله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يصدر قوانين جبرية على الانسان و الطبيعة لأنه لو فعل ذلك لنساق الانسان الى الايمان سوقا أي يجبر على الايمان بالله من خلال عالم الارادة بين ووضح قدرته تعالى و من خلال هذا التوضيح جعل الانسان تحت لواء الاختيار لا الجبر و الاستلاب هذه النسبية الارادية تتم وفق مطلقين (مطلقية الكون و مطلقية الانسان) فمن خلال التوحيد بين القراءتين ومن أجل معرفة الارادة الالهية في الكون ندرك أنه لا جبر في أفعال الانسان لأن القول بالجبرية يعني ضبط الفعل الالهي بمعنى تقنيه لناخذ منه قانون جبري و حينها يصل بوعينا الكوني الى المطلق اللا متناهي.

"حين نصل إلى ذلك الوعي الكوني ،وعي المطلق اللامتناهي فإننا ننتقل من مستوى الإرادة الالهية النسبية إلى مستوى الأمر المطلق حيث يكون هنا (الدمج بين القراءتين)"<sup>2</sup>.

أي أن وصولنا إلى مرحلة الوعي الكوني المطلق اللامحدود يعني تجاوزنا الإرادة الالهية منتقلين بذلك إلى الأمر هذه المرحلة هي الدمج بين القراءتين .

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 224.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 225 .

فهذا المستوى لا يصل إليه أي شخص إنما هو مستوى يجري على فئة معينة من ارقى عباد الله " في قمة السلوك في عالم الأمر يأتي محمد بكل خصائص اسمه (أحمد) حيث ترتقي استجابته لله فوق موجبات عالم المشيئة الموضوعي وعالم الارادة النسبي فان يكون مسلما و أول المسلمين و إمامهم فذاك (أمر) من الله "1 .

إن هذا العالم أي عالم الأمر هو عالم يختص بأرقى و أظهر عباد الله من بينهم نجد محمد عليه الصلاة و السلام ،الذي يتعدى بعالمه العالمين (المشيئة و الارادة ) وذلك كونه أول المسلمين هذه المكانة التي وضعه الله فيها قد خصه ايضا بمحتوى الوحي الكوني وهو القرآن الكريم حيث أن الله سبحانه وتعالى أمر محمد عليه الصلاة و السلام أن يعبد وأن يكون من المسلمين {إنما أمرت أن اعبد رب هذه لبلدة الذي حرمها وله كل شيء و أمرت أن أكون من المسلمين ،فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه و من ظل فقل إنما أنا من المندرين } النمل 91-92 .

من خلال هذه الآيات يتضح لنا أن الانسان ليس مجبرا إنما هو مخير بين العباداة و الظلالاة حيث أن محمد عليه الصلاة و السلام يمتلك او بالأحرى يتميز عن غيره من البشر بمجموعة من الخصائص أهمها أنه أسرى به الله سبحانه و تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،له إمامة الأنبياء بصفته خاتمهم هذه الخصائص يمكن اعتبارها من متعلقات الأمر الالهي .

إن رسالة محمد عليه الصلاة و السلام جاءت خالية من كل الخوارق والمعجزان وذلك لأن "مهمته جاءت كخاتمة (للحاكمية الالهية) و (حاكمية الاستخلاف) وافتتاح مرحلة (حاكمية الإنسان ) المتعلقة (غيبيا بالله)دون محسوسات ومنظورات ليصل الانسان لمعرفة آيات الله"2 .

بما أن محمد صلى الله عليه وسلم كان خاتم الانبياء فان مهمته بدورها كانت خاتمة لحكم الله المباشر للناس هذا الحكم لا يتم باستخلاف بشري إنما يتميز بهيمنة مباشرة على الطبيعة و البشر (الحاكمية الالهية) كذلك كانت

<sup>1</sup> العالمية الاسلامية الثانية ، ط 1 ، المصدر نفسه ص 225.

<sup>2</sup> محمد ابو قاسم حاج حمد : الحاكمية ، دار الساقى ، بيروت ، ص 77.

خاتمة لحاكمية الاستخلاف والتي نعني بها وجود خليفة لله في الأرض، بحيث يكون هذا الخليفة موصولا بالله عبر الالهام و ايجاء و أن تسخر له الطبيعة و الكائنات هذا الاختتام لا يعني بالضرورة ختام للحاكمية إنما هو بداية لظهور حاكمية جديدة وهي حاكمة الانسان، والتي تعتبر أخطر مرحلة -على حد تعبير حاج حمد- تناولها الخطاب الالهي للبشرية منذ الخطابين -الحاكمية الالهية و حاكمية الاستخلاف- .

كما سبق لما الذكر أن الرسالة المحمدية رسالة خالية من الخوارق و المعجزات وقولنا هذا لا يعني أن محمد عليه الصلاة والسلام هو أقل مرتبة من مراتب الرسل السابقين الذين حملت رسالاتهم خوارق ومعجزات، بالعكس فالرسول عليه الصلاة و السلام هو إمامهم و أقواهم فالخوارق حجت عنه وذلك كونه دخل بالبشرية إلى مرحلة الحاكمية الخاصة بها وهذا ما أدى بنا للقول بان هذه المرحلة هي أخطر مراحل الخطاب الالهي، فغياب المعجزات عن الرسالة المحمدية يعني غياب مدلولات حسية تبين لنا علاقة الإنسان بالله فغيابها - المعجزات - يعني غياب المدلول الحسي لتصبح بذلك علاقة غيبية خاصة بالحاكمية البشرية وطبيعتنا كبشر نؤمن بالمحسوس وهذا ما دفع بالعرب الأميين لرفض "الاستجابة لمحمد صلى الله عليه وآله... تحذوا الرسول بان يأتي بمعجزات و خوارق لما كان يأتي به موسى"<sup>1</sup>.

وذلك لأنهم اعتبروا ان محمد صلى الله عليه وسلم مجرد بشر لا معجزات وخوارق تميزه عن غيره لكنهم كانوا يجهلون ان هذه الصفة البشرية هي صفة "مطلوبة لذاتها في هذه المرحلة، حيث تكون علاقة (البشر) بالله علاقة (غيبية) قائمة على تنزيه يتجاوز متعلقات التقديس الأدنى درجة من التنزيه وهي أرقى علاقة يستهدفها الله سبحانه لتكون بينه وبين الانسان الذي من أجله خلق الكون"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابستمولوجية المعرفة الكونية، المصدر نفسه ص 309.

<sup>2</sup> الحاكمية، المصدر نفسه ص 78.

وعليه فالتنزيه خصه الله في الحاكمية البشرية أما التقديس فهو يختص بالحاكمية الالهية وحاكمية الاستخلاف  
 "فالذي يتنزل في الأرض المحرمة يقوم على علاقة (تنزيهية غيبية ) بالله خارجة عن متعلقات التقديس وخوارقها  
 مكرسا حاكمية الانسان"<sup>1</sup>.

فالأمر التي أنزلت على سيدنا محمد هي أمور تنزيهية بعيدة كل البعد عن الخوارق وكل ما يتعلق بالتقديس الالهي  
 وبهذا تتجسد لنا حاكمية الانسان وعليه فالحاكمية الانسانية والتي اسست من قبل محمد عليه الصلاة والسلام  
 "جوهرها هو التعلق الغيبي بالله دون معجزات خارقة... هذا التعلق الغيبي بالله -سبحانه- هو أخطر مرحلة في  
 تطور علاقة البشرية بالله ، حيث يمارس الانسان مسؤوليته الوجودية بأقصى ما لديه من قدرات الوعي"<sup>2</sup>.

إن الأساس الذي تقوم عليه الحاكمية البشرية هو التعلق بالله دون وجود خوارق أو مدلولات حسية فالإنسان عليه  
 أن يكشف قدرة وفعل الله في حركة الوجود فتعامل الانسان مع الله يجب ان يكون وفق أبعاد كقصص الأنبياء  
 مثلا لا يجب ان نفهمها على أنها سير ذاتية بل يجب ان ندرك إلى ما ترمي إليه هذه القصص .

في ظل العلاقة الغيبية التي تربط الانسان بالله أصبحت هذه المدركات التي وصلت الانسان لمعرفة الله هي بمثابة  
 الارضية التي بنى عليها حاكميته و بالأحرى تجسدت الحاكمية البشرية بعيدا عن كل معجزة أو خارقة .

"إن حاكمية الإنسان تؤدي إلى بناء الحضارة الكونية بأبعادها الغيبية و الإنسانية و الطبيعية ،حيث لا يتحول  
 الغيب إلى (لاهوت)يستلب الإنسان و الطبيعة ولا يتحول الإنسان إلى (وجودية عبثية إباحة فردية ) ولا تتحول  
 الطبيعة إلى (جبرية مادية )فكل يتدامج في جدلية الغيب و الإنسان و الطبيعة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الحاكمية ،المصدر نفسه ص 80 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 81 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 86.

تعتبر الحاكمية البشرية مهذا لبناء حضارة كونية بكل ابعادها الغيبية ،الإنسانية و الطبيعية على عكس ما جاءت به الحاكمية الالهية التي اقتصررت على البعد الغيبي في حين أن حاكمية الاستخلاف زاوجت بين البعد الغيبي و البعد الإنساني ، وعليه فالحاكمية البشرية نفت عن الغيب (الله)صفة الاستلاب و أعطت للإنسان غاية وهدف لوجوده ،فالحاكمية البشرية أعطت صبغة تفاعلية دمجت من خلالها بين المطلقات الثلاث الغيب ،الانسان و الطبيعة .

## الخاتمة:

وفي الأخير و ما نصل إليه من خلال بحثنا هذا أن :

\_\_ هيغل هو الأب الروحي للجدل كونه منهج فلسفي قائم بذاته ، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنه لولا هيغل لما وجد ماركس ، إذ يعتبر هيغل النافذة التي أطل منها ماركس على الجدل .

\_\_ لتستمر رحلة التأثير و التأثير ليصل الجدل الماركسي إلى أبو قاسم حاج حمد و يعتبر هذا الجدل دفعة قوية بنا من خلالها مفهومه للجدلية ، إذ أنه تجاوز ماركس و اعتبر أن جدله جدلا عقيما ليضفي عليه بذلك غاية و هدف .  
فالحاج حمد اتفق مع ماركس كون أن الجدل ما هو إلا لحظة صيرورة لكن حاج حمد أضفى على هذه الصيرورة غاية و هدف فعملية خلق الإنسان مثلا تتم وفق صيرورة غايتها هو الوصول إلى خليفة الله في الأرض على عكس العالم المادي الذي يرى بأن الإنسان في هذا العالم يفتقد مصيره الحقيقي .

-في حين ان الجدل الهيغلي و الماركسي يحكمه الصراع أما الجدل القاسمي فهو جدل تكاملي .

\_\_ كما أننا توصلنا إلى أن أبو قاسم حاج حمد أقر بأن المنهج الذي يخلص الإنسان من الاستلاب الذي وقع فيه جراء الوضعية و الماركسية هو منهج الجمع بين القراءتين هذا المنهج استخلصه من جوف القرآن الكريم و بالتحديد من سورة العلق

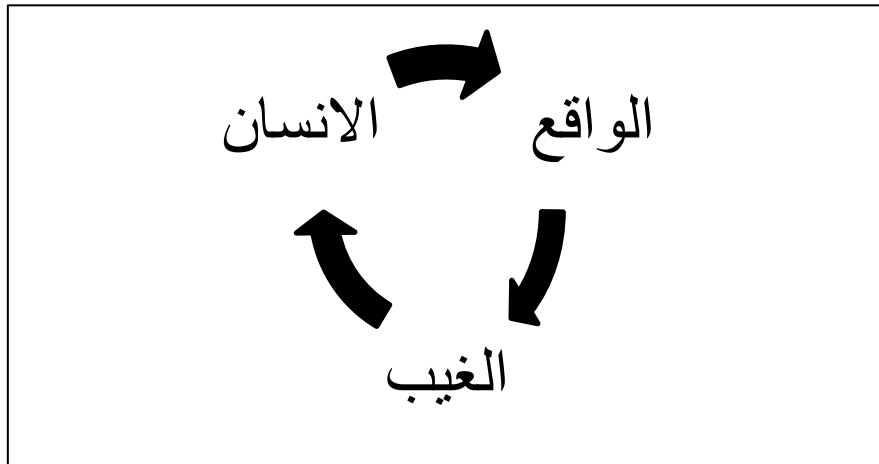
\_\_ فبالجمع بين القراءتين (القراءة باسم الله ، القراءة بالقلم) نخرج القلم الوضعي من طغيانه و ذلك حين نربطه بالقراءة الأولى \_ القراءة باسم الله \_ و اعتبر حاج حمد أن الجمع بين القراءتين ضروري و ذلك لأن التفريق بين القراءتين يؤدي إلى:

\_\_ من تجاوز القراءة الأولى و استغرق في القراءة الثانية فقد فقد العلاقة بالله متجاهلا بذلك الغيب متبنيا الفلسفة الوضعية القاصرة والتي تسعى إلى التوحيد بين الإنسان و الطبيعة معتبرة الغيب مجرد ما ورائيات و إذا ما وجد إنما وجد بطريقة حلولية ، هذا ما ذهبت إليه الفلسفة المادية و التي بدورها أنكرت وجود الخالق وبالتالي اعتبرت

الطبيعة كون مستقل عن أي امتداد و الإنسان جزء منها إذ يرى نفسه الفاعل ، المبدع ، المسيطر عليها  
\_الطبيعة\_ فالكون مهياً مسخر للإنسان و الإنسان مزود بالقدرات التمكينية [العقلية ,العملية ] التي تمكنه من  
تسخير الكون يتجاهل أو بالأحرى يتناسى القدرة الإلهية ممجدا لنفسه جاعلا من الدين سوى أداة يوظفها  
يستحضرها لسد ثغره أو تلبية رغبة .

\_أما إهمال القراءة الثانية أي القراءة بالقلم والتركيز على القراءة بالوحي فهذا يؤدي بنا إلى النفور من الدنيا وهذا  
الانفصال يؤدي إلى حدوث قطيعة بين الإنسان وبين التمتع بنعمة التسخير (الكون) حتى أنه يرى أن لا قيمة  
لوجوده إذ أن تجاوز القراءة الثانية يؤدي إلى ظهور العجز الإنساني الحضاري وتعطيل طاقاته وابداعاته .  
كما أنه إذا اقتصرنا على القراءة الأولى (القراءة بالوحي) يرون بأنه تنزيه الله سبحانه وتعالى لا يتم إلا إذا سلبت  
حرية الإنسان استلابا لاهوتيا .

وعليه لا بد من الجمع بين القراءتين (قراءة الوحي ,قراءة الوجود ) والدمج بينهما ليتمكن الإنسان من تجاوز  
الوقوع في قبضة الوضعية إذا اقتصر على القلم واللاهوت إذا اقتصر على الوحي .  
ومنه فالعلاقة التي تربط بين الغيب و الواقع هي علاقة تكاملية إذ أن الغيب يكمل الواقع و الواقع يكمل الغيب و  
كلاهما يكمل الانسان و كأن حاج حمد ووفق هذه الجدلية التي أقر بها يبين لنا أن العلاقة بين المطلقات الثلاث  
- الغيب ، الانسان والطبيعة - تكون كما يلي :



أي انها علاقة تكاملية ولتطبيق هذا التكامل استشهد حاج حمد بنماذج من القرآن الكريم ,ففهم العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة يتم في إطار العقيدة الإسلامية .

\_\_عقيدة إبراهيم ,موسى حتى خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة و التسليم هذه العقيدة هي عقيدة التوحيد وذلك عن طريق الاعتقاد بوحداية الله عز وجل في هذا الكون , تلك العقيدة التي أراد الله لسيدنا موسى عليه السلام أن يعتقدها و أن يدين بها فأعطاه الله درسا على يد العبد الصالح, ليخلص أبو قاسم حاج حمد من خلال قصة العبد الصالح و موسى أن الله أراد لموسى أن يربط بين الغيب والواقع ليوضح فعل الله في مسيرة الفعل البشري .

في حين أن إبراهيم عليه السلام ومن خلال الظواهر توصل إلى الله تعالى وهذا لا يدل إلا على العلاقة التكاملية بين الواقع و الكون .

و ما نخلص اليه في الأخير أن البديل التوحيدي هو المخرج الوحيد الذي يمنع حدوث الاستلاب و ذلك راجع الى مطلقية كل من الانسان و الطبيعة والقرآن في المقابل أزلية الغيب (الله)،فمطلقية الانسان والطبيعة لا يمكن فهما إلا في اطار القرآن هذا الأخير يعتبر كما سبق لنا الذكر واسطة بين الانسان و ربه .

## قائمة المصادر و المراجع:

-القرآن الكريم

أولا :المصادر

1- محمد أبو قاسم حاج حمد : العالمية الاسلامية الثانية ، جدلية الغيب و الانسان و الطبيعة ، دار الساقى ، ط 3 ، 2012.

2- محمد أبو قاسم حاج حمد : العالمية الاسلامية الثانية ، جدلية الغيب و الانسان و الطبيعة ، دار الهادي ، ط 1 ، 2004.

3- محمد أبو قاسم حاج حمد : منهجية القرآن المعرفية ، أسلمة العلوم الطبيعية ، دار الهادي لطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003.

4- محمد أبو قاسم حاج حمد : الأزمة الفكرية و الحضارية في واقعنا العربي الراهن ، دار الهادي ، بيروت ، ط 1 ، 2004.

5- محمد أبو قاسم حاج حمد : ابستمولوجية المعرفة الكونية ، اسلامية المعرفة و المنهج ، دار الهادي ، بيروت ، ط 1 ، 2003.

6- محمد ابو قاسم حاج حمد : الحاكمية ، مراجعة و تحقيق: محمد العاني، دار الساقى ، بيروت .

ثانيا : المراجع

1- إلياس فرح : تطور الفكر الماركسي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 6 ، 1981.

2- امام عبد الفتاح امام : المنهج الجدلي عند هيغل ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 3 ، 2007.

3- أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية نتاريخها و مشكلاتها ، دار قباء، 1998.

4- جماعة من الأساتذة السوفيات : المادية الديالكتيكية ، ترجمة فؤاد مرعي و آخرون ، دار الجماهير ، دمشق ، ط 1978، 4.

- 5- الحاج دواق :المشروع المعرفي لمحمد أبو قاسم حاج حمد و تطبيقاته النقدية ، رسالة دكتوراه ، اشراف زروخي اسماعيل ، جامعة قسنطينة ،2009-2010.
- 6- روبير بلانشي : المنطق و تاريخه من أرسطو حتى راسل ،ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية لدراسة والنشر والتوزيع ، لبنان .
- 7- رينيه سرو : هيغل و الهيجلية ، ترجمة أدونيس العكره ، دار الطليعة لطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993.
- 8- طه جابر العلواني : الجمع بين القراءتين ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2006.
- 9- عبد الفتاح الديدي : هيغل ، دار المعارف ،2001 ص 9-17.
- 10- علي شريعتي : الاسلام و مدارس الغرب ، ترجمة محمد حسن بزي ، دار الأمير ، بيروت ، ط 1 ، 2008.
- 11- عمر التومي الشيباني :مقدمة في الفلسفة الاسلامية ن دط ، د ت ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس.
- 12- فريال حسن خليفة : نقد فلسفة هيغل ، دار قباء لطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، 1998.
- 13- فلاديمير لينين :سيرة مختصرة لحياة ماركس، منشورات دار صادر ، تونس ، دط ، 1918.
- 14- فؤاد زكريا : التفكير العلمي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .
- 15- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، الجزائر ، ط 4 ن 1984.
- 16- محمد الشيخ ، ياسر الطائري ، مقاربات في الحداثة و ما بعد الحداثة ، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر ، ط 1 ، دار الطليعة لطباعة و النشر ، لبنان ، 1992.
- 17- هربرت ماركيز : العقل و الثورة ، ترجمة فؤاد زكريا ، دار الوفاء لطباعة و النشر ، الاسكندرية ، 2007.
- 18- ولتر ستيس :فلسفة هيغل ، المجلد الأول، المنطق و فلسفة الطبيعة ، تر امام عبد الفتاح امام ، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 2007.
- 19- يوسف كرم :تاريخ الفلسفة اليونانية ، دط ، دار القلم ،بيروت ،لبنان .

### ثالثا : الموسوعات و المعاجم

- 1- أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 1 ، ج 1.
- 2- أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الأول ، ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط 1 ، 2001.
- 3- جميل صليبا : المعجم الفلسفي للألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية ، ط 1.
- 4- روني إليا ألفا ، شارل الحلو ، جورج نخل : موسوعة أعلام الفلاسفة العرب و الأجانب ، ج 2 ، دار الكتب العلمية لبنان ، ط 1 ، 1992 .
- 5- كميل الحاج : الموسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي ، مكتبة لبنان ، ط 1 ، 2000.
- 6- مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة .

### رابعا : المجالات

- 1- إكرام فهمي حسن : منطق الفكرة الشاملة عند هيغل ، مجلة كلية الآداب جمعية الحلوان ن 2009.
- 2- محمد أبو قاسم حاج حمد : اسلامية المعرفة ، المفاهيم و القضايا الكونية ، مجلة تفكر ، المجلد 3 ، العدد 3 ، 2004.

## فهرس الموضوعات :

### مقدمة

### الفصل الأول : تطور مفهوم الجدل

مدخل ..... 02

المبحث الأول :الديالكتيك الهيغلي..... 06

المبحث الثاني :الجدلية المادية التاريخية ..... 19

المبحث الثالث : الجدل عند أبو قاسم حاج حمد ..... 26

### الفصل الثاني : المنهج المعرفي الابستمولوجي

مدخل ..... 36

المبحث الأول : المنهج المقارب و المقارن..... 40

المبحث الثاني : منهج الجمع بين القراءتين ..... 40

المبحث الثالث : مستويات الجمع بين القراءتين ..... 50

### الفصل الثالث : انطولوجيا الجدل

مدخل ..... 60

المبحث الاول : القراءة الابراهيمية..... 61

المبحث الثاني : القراءة الموسوية..... 68

المبحث الثالث : القراءة المحمدية ..... 74

الخاتمة ..... 82

### قائمة المصادر و المراجع

### فهرس الموضوعات